

مذاهب و شخصيات



# مَعَ آرَنُولَدِ تَوِينِي

ترجمه

محمد عبد الله الشافعي





اهداءات ٢٠٠١

المرحوم / محمد والحبيب عباس  
وحيل وزارة الثقافة سابقا





و



مع آرنولد توينبي

ترجمہ محمد عبد السلام الشافعی

في بيت من بيوت المدينة الكبيرة - لندن - يعيش رجل  
يعشق الريف ويحن اليه ، الرجل طويل فير يدين ، منحني  
الظهر ، والشعر الفى يتوج الرأس قد أصبح اليوم أبيض  
اللون . والنوجه مستطيل وشاحب ، والحاجبان كثيفان  
والابتسامة مرسومة على الشفتين فى عنوبة .

فى الرابع عشر من شهر ابريل يكمل الرجل عامه الخامس  
بعد السبعين . فى هذا البيت الهادى يعيش معه زوجه التى  
كانت تعمل مساعدة له فى يوم من الايام ، وكان اسمها فى  
ذلك الحين فيرونيكام . بولتر ، ثم أصبحت تدعى صير توينبى  
هذه عام ١٩٤٦ .

كيف أصبح هذا الرجل ، واسمه آرنولد توينبى ، كيف  
أصبح مؤرخا ؟ ما الأحداث التى تقف وراء ذلك الكتاب الضخم  
المسمى « دراسة للتاريخ » ؟ لن نقال اذا قلنا ان التاريخ يجرى  
فى دماء الأسرة التى اتحدت منها آرنولد توينبى . كانت  
والدته مؤرخة ، ومن بين أولى الفتيات اللاتى حصلن على  
درجات جامعية فى إنجلترا . وفى عام ١٩٥٥ زاره أحد أساتذة  
جامعة هارفارد ، فوجد صورة هذه الأم المؤرخة على المكتب .  
وعنها قال الابن : -

« ولقد نشأت وأنا أترش اننى سأغدو بدورى مؤرخا  
بسببها . هاك صورتها . انها على مكتبى دائما ، تبدو جد  
شابة . لقد كانت فى أحد الفصول النسائية التى مسبقت  
غيرها فى تلقى دراسات جامعية بجامعة كامبردج بإنجلترا .  
وعندما كنت صغيرا ، وعندما كانت توسدنى لراش ليلا ،

اعتادت أن تحكى لى تاريخ إنجلترا فى حلقات ، الى أن انتهينا منه تماما خلال عام تقريبا .

ولم تكن أمه هى المصدر الوحيد الذى رضع منه التاريخ كان هناك فرد آخر فى الأسرة يخر عباب المحيطات بمركب ذى شراع . وكان أن رسم لآرنولد خريطة للعالم أوضح فيها رأس الرجاء الصالح ، وكل محيطات العالم .

ولد آرنولد توينبى فى الرابع عشر من شهر إبريل عام ١٨٨٩ ، وكان ميلاده فى المدينة التى مازال يعيش فيها ، وتلقى علومه فى ونشستر ، وكلية باليول بجامعة أكسفورد . وكانت دراساته من النوع الكلاسيكى المتمثل أساسا فى اليونانية واللاتينية . وبعد أن انتهى من دراسته ذهب الى اليونان لمدة عام . وهناك ، استرعى نظره أمر آخر غير التاريخ القديم . لقد عرف - لأول مرة - أن هناك شيئا هاما آخر يبلغ فى خطورته خطورة التاريخ القديم . هذا الشيء اسمه : المشاكل المولوية المعاصرة .

وعاد من اليونان وهو يحمل هذه التجربة فى ذهنه . فأخذ يلقي محاضراته فى التاريخ القديم باكسفورد ، وفى الوقت نفسه شرع يكتب فى المشاكل المولوية المعاصرة ، وينشر مقالاته فى مجلات بريطانية جادة مثل مجلة نيشن Nation وأنجز توينبى أول كتابين له ، وظهر هذان الكتابان عام ١٩١٥ تحت عنوان « القومية والحرب » و « أوروبا الجديدة » .

وفى ذلك العام نفسه عمل فى قسم المخابرات السياسية بوزارة الخارجية البريطانية . وأسفر هذا عن اختيساره فى الولد البويطانى فى مؤتمر السلام الذى انعقد بفرساي .

وفى عام ١٩١٩ انضم الى جامعة لندن كأستاذ للغات والآداب والتاريخ البيزنطى واليونانى الحديث . وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٢٥ ، فعين أستاذا باحثا فى التاريخ النوى . وكان قد أفنق عام ١٩٢١ بالخارج لتغطية تطورات الحرب اليونانية التركية لحساب صحيفة مانشستر «جارديان» وأسفرت تجربته عن كتاب « المسألة الفريسية فى اليونان وتركيا »

عام ١٩٢٢ | انه عام هام جدا بالنسبة لآرنولد توينبي  
وبالنسبة للمهتمين بالتاريخ وقصة المدينة • ان كتاب  
« المسألة الغربية في اليونان وتركيا » لا يعد شيئا بالقياس  
الى شيء آخر وقع في ذلك العام • لقد التقط توينبي ورقة  
بيضاء ، لكن أكثر دقة : التقط توينبي نصف ورقة بيضاء  
مهملة وخط فيها أولى نقاط السفر الحاله « دراسة للتاريخ »  
وطن وهو يكتب لقاطه انه سينفق عامين في الكتابة ثم يخرج  
للناس بكتاب • ولكن مضى العام الأول في البحث والتفتيش  
والندين • كذلك مضى العام الثاني ، والثالث ، والرابع •  
وبعد تسعة أعوام كاملة نشر توينبي الأجزاء الثلاثة الأولى • ثم  
مضت خمسة أعوام أخرى من العمل الشاق لاعداد الأجزاء  
الثلاثة التالية التي ظهرت عام ١٩٣٩ • وبلغ مجموع صفحات  
هذه الأجزاء الستة مجتمعة ٣٤٨٨ صفحة • ولم يقف ارتفاع  
الهرم عند هذا الحد ، فبعد مضى سبعة وعشرين عاما من ظهور  
الفكرة الأولى كان توينبي قد أجز عشرة أجزاء •

ولكن ... لماذا أخذ توينبي على عاتقه مهمة شسنة  
ك هذه ؟ لماذا لم يشرك آخرين معه ؟ لماذا لم تنجز هذا الكتاب  
لجنة ؟ أن آرنولد توينبي يمقت كلمة « لجنة » عند التعرض  
للتأليف • وفي هذا يقول - في حديث مع كريستوفر رايت:

« لا أعتقد أن هناك لجنة تستطيع أن تؤلف كتابا • ان هناك  
أشياء لا حصر لها مما تستطيع اللجنة انجازها • انها تستطيع  
أوه ، ربما تستطيع أن تحكم بلدا • ولكنى لا أعتقد أنها  
تستطيع تأليف كتاب • أعتقد أن الكتاب يجب أن يكون وليد  
عقل واحد » •

ولو قد أعدت «دراسة للتاريخ» لجنة من أمثاله للتاريخ  
لجاء سردا عاديا ، مؤدبا لأحداث العالم كما هي مدون في الكتب  
السابقة واللاحقة • ولكن توينبي أراد أن يعبر في هذا الكتاب  
عن وجهة نظر ، ورأى ، واتجاه - ومن ثم كان لابد أن يكتبه  
وحده ويتحمل مسئوليته • والمحق انها كانت مسئولية  
جسيمة •

فلقد هاجم الكتاب كثيرون ، وقال المؤرخون عن بعض  
آرائه انها غير منطقية ، أو غير صحيحة ، أو غير واقعية •

وضربوا لذلك أمثلة تأكيده لحدوث الدين في التاريخ ، فهو يعتبر التاريخ « رؤية للرب وهو يكشف عن نفسه في الأحداث لأرواح تسمى إليه في اخلاص » - معارضته للنزعة العسكرية والنزعة القومية - اعراضه القائل بأن للمجتمع شكلا ، وهو الافتراض القائم على اكتشافه للامع عدة تكرر في جميع المجتمعات .

ولكن ، كان هناك من يدافع عن هذه الاتجاهات الواضحة في منهج توينبي ، ومنهم ريتشارد تشيز الذي قال في مقاله المنشور بمجلة « أميركان سكولار » :

« ان الكبار والمؤثرين من واضعي النظريات - من أمثال ماركس وفرويد وتوينبي - لا يحققون أثرهم القوي بفضل التكامل المنطقي لنظرياتهم ، وإنما لانهم يملكون فراغا يحس به الناس لاشعوريا ، يملونه بقوة عاطفتهم الأخلاقية ، والحاسها » .

وكتب عنه جيمز فييلمان مقالا مطولا في « شهيرة تينب هسيا » التي ينشرها في شتيفاي معهد سن يات صن للدهوض بالثقافة والتعليم . وفي المقال قارنه بمؤلف شينجلر « انهيار الغرب The Decline of the West » غيرانه اشار الى أن توينبي يتفوق على شينجلر من حيث أن الأول ذو نظرة رجة غير ضيقة ، فتوينبي لم يعتبر انجلترا مركز العالم ، أما شينجلر فالف كتابه من وجهة نظر ألمانية محضه . هذا ، ويتناول توينبي في كتابه المجتمعات أو المدينيات الرئيسية الست الموجودة في عالم اليوم ، وهي المجتمعات أو المدينيات الغربية ، والمسيحية الأورثوذكسية ، والإسلامية ، والهندوكية ومدنية الشرق الأقصى . ولقد بلغ من استيعابه للموضوع الذي يتحلى عنه - وهو موضوع ذو أبعاد زمانية ومكانية ممتدة - أن قال عنه فييلمان : « ان توينبي يالف كل مكان ، سواء كان القرى الصغيرة في موطن أي فرد ، أو الأركان النائية للأرض في أي عصر .. وهو يحول كل قصة - بلغة منه - الى هي مشوق » . وقارن البعض كتابه بمؤلف جيبون الشهير « تدهور الامبراطورية الرومانية » ومقطعا .

«The Decline and Fall of the Roman Empire.»



غير أن المدنيات والمجتمعات الموجودة في عالم اليوم لا تشكل كل الأبعاد التي تناولها في « دراسة للتاريخ » . لقد بلغ مجموعها ستا وعشرين مدينة عاشت خلال ستة آلاف عام من تاريخنا . تأمل توينبي هذه القرون ، ثم خرج بأراه في تاريخ العالم مثيرة جدا . لقد انتهى به البحث الى أن جميع المدنيات تنتهج نمطا واحدا ، وأن نمو مجتمع أو تدهوره هو نتيجة التحدي الذي يواجهه هذا المجتمع ونوع الاستجابة التي يقدم عليها وهو يرد على هذا التحدي . وقد أطلق على هذه العملية اصطلاح «challenge and response»

ويضرب لذلك مثلا : -

في يوم من الايام كانت صحارى افريقية الشمالية خربة بصورة رائعة ، وكانت تحتضن جمعا غفيرا من الصيادين . وبمرور الوقت جفت هذه السهول ، وهربت الحيوانات ، وواجه الصيادون تحديا كبيرا ، جاء هذا التحدي في صورة السؤال : كيف يسيغون ؟

ولم يكن بعض الصيادين بقادرين على مواجهة هذا التحدي . لم يكن بمقدورهم أن يغيروا أسلوب عيشهم . لقد أصروا على أن يظلوا صيادين ، فمات فريق منهم وعاش فريق آخر على الكفاف - في صورة متوحشين متأخرين .

لهم أن فريقا آخر استجاب للتحدي بأن وقف في وجهه وواجهه : لقد شرع يصوغ حياته من جديد . هاجر هذا الفريق الى وادي النيل ، وترك الصيد ، وشرع يجهز الاحراش ويجلف المستنقعات وينشئ المزارع البعيدة . وكانت النتيجة أن ازدهروا وخلقوا تلك المدينة المصرية الرائعة التي عاشت زهاء أربعة آلاف عام .

ويقول توينبي : ان التحدي الذي يضطر المجتمع الى مواجهته قد يتخذ أشكالا عدة ، والنجاح في مواجهة تحد معين يلقي دائما الى تحد من نوع آخر . مثال هذا أن اليونانيين اضطروا بإيدي الأمن الى مواجهة تحدي البيئة ، كانت أرضهم الفقيرة غاصة بالسكان . وواجهوا هذا التحدي بأن أنشئوا مستعمرات فيما وراء البحار . وصراعان ما أسفر هذا عن تحد آخر ، تحد سياسي : كيف تتعامل أثينا مع البلدان الخاضعة

فها وتتعامل مع اسيرطة ؟ وفشل الاثنيون في مواجهة هذا التحدي ، وبهذا انهضت المدنية الهيلينية الرائعة ، ووجد توينبي أن الاستجابة الناجحة لتحد ما لا تؤدي الى نجاح لان ذلك أن الشعب الطائر قد يحس بالرضا والقناعة الضارة .

ومن القضايا الأخرى الهامة التي عرض لها توينبي في كتابه : «دراسة للتاريخ» ان معيار النمو ليس في النجاح العسكري أو السياسي أو العلمي ، وإنما في القدرة على الاستجابة الملائمة لسلسلة من التحدي الاقل مادية . ويرى توينبي أن خلاص المدنية الغربية لن يأتي الا بمولد الروح المسيحية من جديد .

— ان منبع الحركة في مدينة معينة مرجعه الفرد الخلاق ، أو اقلية صغيرة من الأفراد .

— ان التدهور الذي يؤدي الى الانهيار ، أو يوقف النمو أو يخلق دولة عالمية استبدادية ينجم دائما عن فشل الاقلية فهذه الاقلية قد تصبح آتية في تفكيرها ، أو متحمسة بصورة استبدادية ، وهي تقضي في النهاية الى انشقاق اجتماعي .

وعندما ظهرت أولى أجزاء «دراسة للتاريخ» لأول مرة استعرت نظر اللواتي الاكاديمية وحدها . غير أن سمرغيل نشر عام ١٩٤٦ موجزا للأجزاء الستة الأولى ، وذلك في مجلد واحد . وبالرغم من دسامة المادة التي احتواها الموجز ، فإنه بيع على نطاق واسع في الولايات المتحدة وبريطانيا . واليوم تعرض المكتبات موجزا في جزأين بعد أن ظهرت الأجزاء الباقية لكاتب توينبي .

وقد بلغ من سعة أفقه ورحابة صدره أنه اعترف بوجود أخطاء فيما كتب في هذه المجلدات كما وجد أنه حين يفكر في مسألة بعد مضي وقت عليها فإنه قد يرى فيها رأيا آخر ، على ضوء ما يستجد من أحداث ومعارف . وهذا جعله يقول عام ١٩٥٥ : « ... وهناك ... كتابي » دراسة للتاريخ» ان ازدياد الاهتمام العام بنظرته التريفة الى الشؤون البشرية قد اثار مناقشة وتقدا كبيرين ، وأمل أن تتضاعف

المنافسة ويتضاعف النقد . وسيدفعنى هذا الى اعادة النظر  
فى افكارى . ويحتمل أن يظهر هذا فى شكل كتاب جديد .  
وعندما اشتبك مع سفير اسرائيل فى ذلك النقاش الشهير  
الذى هاجم فيه الصهيونيين ودافع عن حقوق العرب ، قال :  
انه مسيعيد النظر فى بعض أخطائه ويصححها فى كتاب  
جديد .

وكان آرنولد توينبى عند وعده ، ففى النصف الثانى.  
من عام ١٩٦١ ظهر أحدث جزء فى موسوعة « دراسة للتاريخ »  
واسمه « اعادة نظر Reconsiderations » ، وعندما زارنا  
آرنولد توينبى كانت تلك أول مرة يضع فيها المؤرخ الكبير  
قدمه فى أرض الحريقة . لقد زار الولايات المتحدة الأمريكية  
وطار فوق غابة الأمازون ، وهبط فى بورما ، وكتب حمارا  
جاس به خلال وديان ايران الحفية . بل لقد استغرقت احدى  
رحلاته سبعة عشر شهرا كاملا . وأكثر من هذا أنه اقترب فى  
آخر رحلة طويلة له من الأرض الافريقية - وذلك عندما زار  
قطاع غزة . ولكن كاتب التاريخ زارنا وشهد لأول مرة قطعة  
من التاريخ الغابر الاصيل ، ووقف لأول مرة أمام الاهرام.  
وخوفو ، وهو الذى يعرف عنهما أكثر مما يعرفه كثيرون منا .

ولا يزال مؤرخنا يعيش فى المدينة الكبيرة التى رأى  
فيها النور « لندن » ولكنه يحن الى الريف ، ويحب الفلاحين.  
وعندما ماله مراسل آخر ساعة عما يريد أن يراه فى زيارته  
الأولى لنا أشار الى الفلاحين قائلا : أريد أن أشاهد مافعله  
جمال عبد الناصر للفلاحين .

ان وراء حنين آرنولد توينبى الى الريف وجبه للفلاحين.  
قصة ، وفلسفة .

فى الرحلة الطويلة التى استغرقت سبعة عشر شهرا  
زار آرنولد توينبى عواصم كثيرة فاحص بالضيق . ان عواصم  
العالم تتشابه وتتخذ طابعا موحدا شيئا فشيئا - من الأفضل  
أن أتركه هو يتكلم :

اما بالنسبة لعواصم العالم فانها ، كلها ، تزداد ضخامة  
وتشابهها ، ومضاطيسية . انها تجذبك الى بيئتها ، بيت.  
المنكبوت ( وتتأمر معها جميع وسائل النقل ) ، وما أن

تقتنصك حتى ترفض إخلاء سبيلك • انها لا تستطيع أن  
تتصور أنك تريد أن تهرب منها حقاً الى الريف • ولكن  
الريف ، حتى في يومنا هذا ، مازال هو العالم الحقيقي • ان  
العاصمة لا تمثل البلد في قليل أو كثير • لقد ولدت في  
لندن ، ولقد عشت في لندن طوال حياتي • ولكني اذا أردت  
أن أعد درامة جادة عن موطني فسأهرب من لندن وأذهب  
نفسى في هدرزفيلد وورينجتون • ان عجز العاصمة عن تمثيل  
وطنها لأحد عيوبها النوعية ، غير أن هذا العجز يصل الى  
الذروة في البلدان - وهي تمثل الغالبية - التي تمر اليوم  
بمرحلة التحضر • ذلك لأن التحضر يبدأ في المدن ، وهو  
يشكل حياة الحضر وفقاً للأنماط الغربية ، وهكذا نجد الهوة  
بين العاصمة والريف - في أمريكا اللاتينية • والبلدان  
الآسيوية - هائلة جدا ، كما أنها آخذة في الاتساع المنتظم  
مثال هذا أنك تشمر ، وأنت تدخل طهران ، وكأنك قد دخلت  
دواخ إيران - التي تعتبر طهران عاصمتها الرسمية •  
وإذا كان هدف المسافرين هو رؤية عواصم العالم ذات الطابع  
الموحد فالحري به ان يجنب نفسه عناء حزم حقيقته وإينسا  
كان المرء فلا بد من أن يصطدم بهذا التناقض الذي صنعه عصرنا  
الحديث •

لقد ضاع الكثير - الكثير جدا - من شهرة القمبية  
السبعة عشر في الذبول داخل العواصم • وضاع الكثير منها  
في الاندفاع داخل الطائرات • غير أنني لم أخسر تماماً تلك  
المحركة التي خضعها مع هذين العلوين اللذين يترصدان  
المسافر : العاصمة والطائرة • لقد مررت فوق ذوابات  
أشجار شابة الأمازون مستقلاً طائرة برمائية ، وارتقيت أحد  
وديان إيران الخفية معطياً بظهن حمار ، وتسلفت في طريق  
سايك عند بئرا ، سيرا على الأقدام • ان هذه اللحظات  
للعالم الحقيقي شذرات لا تقدر بثمن •

انها تحية للبلد الحصري ، ولكل فلاح في رحاب الكرة  
الأرضية المسيحية • ان هذا الرجل الذي يؤرخ المدنسات  
يبحث عن الجوهر والنبع ، ويسمى وراء القوى الحقيقية التي  
تشكل الوطن ، في أية بقعة كان هذا الوطن •

وكان توينبي يرى أن التاريخ تجميع لتجارب الأمم

للاستفادة منها اليوم . بهذه الطريقة يستطيع الحاضر أن يستفيد من الماضي . ولكن كيف يستفيد الماضي من الحاضر؟ كيف نستغل الحاضر في تحقيق فكرتنا عن أناس عاشوا في الماضي ، ونريد أن نعرف عنهم المزيد ؟

يسلم توينبي بأنه لم يكن بمستطيع تأليف موسوعة «دراسة للتاريخ» لولا دراسته للمسائل المعاصرة - مع أن هذه الموسوعة تتناول الماضي فقط . وهو يفسر هذا اللغز بقوله :

«... إن العصر الوحيد الذي تضع فيه يدك على أناس أحياء هو عصرك أنت ، عندما تكون حياً . فإذا استطعت أن تضع يدك عليهم وهم أحياء ودرستهم في هذه الحياة حسن ، ربما استطعت إذن أن تحيي الذين عاشوا عام ١٠٠٠ أو ٣٠٠٠ قبل الميلاد . ولكنك إذا عجزت عن دراسة الأحياء ، ودراسة طبيعتهم ، عجزت من ثم عن دراسة الجنس البشري في أي عصر كان » .

وإذا كان موضوع كتابه الضخم هو المذنيات التي ظهرت في عالمنا فلا بد من كلمة هنا عن مفهوم المدنية عند توينبي . تعرض توينبي لهذا المفهوم في مقال لم ينشر بموسوعته ، واسم المقال «لقاءات بين المذنيات» . يقول توينبي :

«ماذا تعني بكلمة مدنية ؟

واضح أننا نعني بها شيئاً ، ذلك لأننا نعني قبل أن نحاول تحديد مقصودنا نجد أن تصنيف المجتمعات الانسانية - المدنية الغربية ، الاسلامية ، مدنية الشرق الأقصى ، الهندوكية وهلم جرا - يبدو شيئاً معقولاً . إن هذه الاسماء ترسم في أذهاننا صوراً محددة للدين ، والعمارة ، والتصوير والسلوك ، والمعدات ... واعتقد أنني أعرف ما الذي أعنيه . بكلمة مدنية : أنني متيقن على الأقل من أنني أعرف كيف وصلت الى رأيي الخاص فيها .

انني أقصد بالمدنية أصغر وحدة للدراسة التاريخية يصل إليها المرء حين يحاول فهم تاريخ بلدته : لكن الولايات المتحدة الأمريكية أو المملكة المتحدة . ولو حاولت فهم تاريخ

الولايات المتحدة في حد ذاته ليدا لك غير مفهوم : لن تستطيع أن تفهم النور الذي لمبه الحكم الفدرلي ، والحكم النيابي ، والديمقراطية ، والتصنيع ، والزواج بوحيدة فقط ، والمسيحية ، لن تفهم الدور الذي لعبته هذه الأشياء في الحياة الأمريكية ما لم تتطلع إلى ما وراء حدود الولايات المتحدة ، إلى أوروبا الغربية وإلى الأقطار الأخرى التي أنشأها الأوربيون الغربيون فيما وراء البحار ، وما لم تذهب إلى ما وراء نضاتها المحلية ، إلى تاريخ أوروبا الغربية في القرون الأخيرة ، قبل أن يعبر كولومبوس أو كابوت المحيط . ولكنك إذ تريد فهم التاريخ الأمريكي والأنظمة الأمريكية لأغراض عملية لاحتجاج إلى تدخل أوروبا الغربية والتطلع إلى أوروبا الشرقية أو العالم الإسلامي ، ولست بحاجة إلى الذهاب إلى ما وراء نشأة مدينتنا في أوروبا الغربية ، إلى تدهور المدنية الاغريقية الرومانية وسقوطها . إن هذه الحدود الزمانية والمكانية تعطينا وحدة مفهومة للحياة الاجتماعية ، وحدة تعتبر الولايات المتحدة أو بريطانيا العظمى أو فرنسا أو هولندا جزءاً منها : اسمها المسيحية الغربية ، المدنية الغربية ، المجتمع الغربي ، العالم الغربي . وبالتثل ، إذا بدأت باليونان أو الصرب أو روسيا وحاولت فهم تاريخها فأنك تصل إلى مسيحية أورثوذكسية أو عالم بيزنطي . وإذا بدأت بمراكش أو أفغانستان وحاولت فهم تاريخهما ، فأنك تصل إلى عالم مسلم . ولابد بالبنغال أو ميسور أو راجبوتانا فستجد علماً هندوكياً . وابدأ بالصين أو اليابان ، وستجد عالم الشرق الأقصى .

وبالرغم من أن الدولة التي يتصادف أن تكون من وعايها تطالب بولائنا بصورة استبدادية مدمومة ، وبخاصة في العصر الحديث ، إلا أن المدنية التي نحظى بعضويتها تؤثر في حياتنا أكثر مما تؤثر الدولة . وفي أغلب مراحل التاريخ نجد أن هذه المدنية التي نحن أعضاء فيها تحتفظ مواطني دول أخرى إلى جانبنا . إن هذه المدنية أقدم من دولتنا .

تبقى أشياء مشرقة قالها أرنولد توينبي عنا ، أشياء أخرى بالاضافة إلى دفاعه عن عرب فلسطين أمام سفير إسرائيل . إن توينبي في مقامه ولقاءات بين المدنيات ، يتكهن لنا ، وللقارة الآسيوية ، وأمريكا اللاتينية ، بدور كبير ضخم

في المستقبل - وبهذا الدور سنؤثر على الغرب ونجعله يعتقد  
بعض اتجاهاتنا ويطبّقها في حياته .

يرى توينبي أن المدنية الغربية تؤثر في القرن الحادي  
على المدنيات الأخرى وتطبعها بطابعها ، ولكنه يؤمن بأن  
الدورات التاريخية أثبتت دائما أن الطرف الخاضع للتأثير  
يظل ينمو ويتطور إلى أن يحين الوقت الذي يقوم هو فيه  
بدور المؤثر ، ويتنقم من الطرف الآخر ، وينعكس الميزان .

ويضرب لذلك مثلا من الماضي . كان من نتيجة فتوحات  
الاسكندر الأكبر والرومان أن أرسلت المدنية الإغريقية  
الرومانية أشعتها عبر معظم أجزاء العالم القديم . وتغلغلت  
هذه الأضواء إلى الهند وإلى الجزر البريطانية ، بل وصلت إلى  
الصين ودول إسكندناوا . ومضت الأيام ، وإذا بهجوم مسلم  
مضاد يوجه ضد هذا العالم الإغريقي الروماني . انه هجوم  
سلمي ووشي لم يضرب ويغزو المقاطعات وإنما القلوب  
والعقول . وتم هذا على يد المبشرين بالديانات الجديدة التي  
ظهرت في العوالم الأخرى الخاضعة لتأثير الإغريق والرومان  
ويقول توينبي ان الديانات الكبرى الأربع : المسيحية والاسلام  
والهندوكية والماهايانا ( شكل من البوذية في الشرق  
الاقصى ) ظهرت كرد فعل للتغلغل الإغريقي الروماني  
الحضاري .

ويجعله هذا يتكهن بمصير المدنية الغربية في  
المستقبل .

« وفي عام ٣٠٤٧ ميلادية قد تكون مدنيتنا الغربية كما  
عرفناها وعرفها أسلافنا الغربيون في الألف ومائتي العام  
أو ثلثمائة العام الأخيرة منذ خروجها من العصور المظلمة ،  
قد تكون تحولت إلى صورة غير معهودة تماما ، وذلك بفعل  
مؤثرات مضادة تقص من عوالم اجنبية نحاول نحن اليوم اخضاعها  
لتأثيراتنا ، مستنسخ المؤثرات الجديدة من المسيحية والارثوذكسية  
ومن الاسلام ومن الهندوكية ، من الشرق الأقصى » .

ويضيف قائلا : ان مدنيات الهند والصين - وهي مدنيات  
خضبة - ستترد على التحدي الغربي ، وانه يحتمل أن تحدث  
الهند والصين في حياة الغرب مؤثرات عميقة ، بل ويتكهن

بدور كبير في المستقبل للمكسيك ، وبيرو ، وبوليفيا ،  
والاكواдор ، وكولومبيا .

هذه لمحات خاطفة حاولنا ان نعرض فيها لبعض جوانب  
هذه الشخصية الفذة التي امتازت بفردتها في التفكير ، ذلك  
التفرد الذي جعل صاحبها يقوم بمهمة كتاب ضخمة وحده لانه  
يعبر فيه عن وجهة نظره .

تحية للمؤرخ الكبير الذي استرعى الأنظار الى مشكلتنا  
فقال في كتاب « من الشرق الى الغرب » ، متحددا عن قطاع  
غزة :

« واذا كان تسعمائة ألف لاجئ فلسطيني قنبلة ، فان  
مائتي ألف الذين يملكون في قطاع غزة هم فتيل هذه  
القنبلة المتفجرة ، هنا يكمن الخطر الذي يهدد أمن العالم ،  
والذي يتحدى أيضا ضميره . ولا يمكن حل هذه المشكلة  
البشرية الملحة دون توضيحات مؤلة من جانب جميع الأطراف  
المتنية : اسرائيل ، والدول العربية ، والقلاطين انفسهم . ومن  
واجب العالم أن يصر على التفاوض من أجل الوصول الى حل  
وأن يدفع بسخاء لكي يدلل عقباته . واذا استعرضنا امم  
العالم جميعا وجدنا أن العيب الأكبر من المسئولية يقع على  
عائق بريطانيا العظمى والولايات المتحدة . وفي هذه النقطة  
على الأقل لا نستطيع أن نكذب حجة العرب » .

محمد عبد الله الشافعي



## الانسان .. والجيل المجرم ❁

لنفترض أن جيلنا لن يصفى الجنس البشرى ، وللتصور إن أحفادنا بعد ثلاثة أو أربعة أجيال من الآن ، قد أقاموا معرضا باسم « الجيل المجرم » نعم ، مما لاشك فيه أنهم سيسموننا : الجيل المجرم ، ان هذا المعرض الذى أقصوه الآن سيسخر منا ، وسيعبر به أحفادنا عن حقنهم المستمر .

والى معرض المستقبل هذا يصطدمنا طرى بمعية تضم ثلاثة معروضات من مطبوعات جيلنا ، أحد هذه المعروضات عبارة عن صحيفة مسائية تصدر فى لندن ولا تحوى شيئا سوى « مجرد دردشة » . ثانيا المعروضات عبارة عن كتاب يتحدث فيه أحد الخبراء الفنيين الأمريكيتين عن الحرب الذرية ، وفيه يناقش المؤلف القضية التالية : هل ستبلغ خسائر أمريكا عند الضربة الأولى ١٦٠ مليوناً أو ٦٠ مليوناً فقط ؟ أما الكتاب الثالث الموجود فى هذه اللعبة فمن تأليف لورد راسل وهو موضوع مقالى الحالى . وعندما تقع عيون رواد المعرض على ثالث المعروضات فإن كتابة مضاعفهم ستخف قليلا على ما اعتقد . وقد يقولون مهما يكن الامر فإن ذلك الجيل المجرم كان أفضل نوعا عن سودوم وعموره ، لقد أنجب رجلا واحدا نزيها على الأقل ، هاكم رجلا من ذلك الجيل ، رجلا اهتم أشد الاهتمام ببقاء النوع الانسانى ولم يهرب الى السلبية بحجة الشيخوخة .

والواقع أن اللحن الامامى فى هذا الكتاب الذى ألفه لورد راسل هو ذلك الاهتمام - المخلص الحى - بالمحافظة على الجنس البشرى ، وهو عفيف فى انتقاده الشديد لقرور الانسان وغبائه (ولقد عهدنا راسل عنيفا على الدوام) . وأى هدف يستحق سهامه أنسب من المملك الحالى الذى تسلكه الدول النووية ؟ غير أن غضبه الهائل لم يجعله يتسقط

❁ في هذا المقال يستعرضي آرنولد تويني الكتاب الذى نشره سلسلة «بنجوين» للفيلسوف برتراند راسل . وقد ظهر الكتاب تحت عنوان « حل للانسان مستقبل ؟ » . اما مقال تويني المظهر في «أوبزورفر» الاحد منذ ٢٦

من نوفمبر ١٩٦١ .

حفوات البشر بحقد ، أو يبدى نحوهم مشاعر انكراهية • ذلك أنه يدرك جيداً أن الجنس البشرى لا يزال يعيش طفولته ، وأنه إذا سمح جيلنا ببقاء هذا الجنس البشرى فإنه سيعيش ضعف الحياة التي عاشها إلى الآن . مئات المرات •

وإذا كان لورد راسل يحقت الجرائم والحماقات التي ارتكبتها الجنس البشرى في الماضي والحاضر ، فإن هذا لا يجعله يتفاضى عن المسكاسب الروحية والفكرية التي حققها أفضل من يمثلون النوع البشرى • وهو يرى في هذه المسكاسب تشوهاً إلى مستقبل الإنسان ، وما يمكن أن يكون عليه هذا المستقبل • ولورد راسل متفائل بالنسبة لافتراض القائل بأن أمام الإنسان مستقبلاً ، وربما كانت لفظة متفائل مفرقة في البلية ، ذلك أن لورد راسل يسهم بحماس كبير في عظمة جنسنا وسعادته • العظمة والسعادة اللتين قد تتحققا في المستقبل • أنه دائم الاهتمام بما قد يحدث بعد أن تنتهي حياة جيلنا بمضور طوال •

ويصلب حتى راسل على الخطأ الكبير الذي ترتكبه الدول النووية الحالية ، حين لا تحترم القوة التي وضعها العلم في أيديها ، وهي قوة لم يسبق لها مثيل ، وحتى إذا كان يقنن الزعماء السياسيين - في هذه الدول - أن يقتنعوا أخوانهم المواطنين بارتكاب الانتحار الجماعي ، فمن المؤكد أنهم يناقضون طبيعة الأشياء ويخرجون على القانون ، استعداداً للعمال التي سيذبحون فيها الأطفال وهم بين أذرع أمهاتهم ، وسيتركون نعمة الحياة على أطفال لم يولدوا بعد ، وجدير بالذكر أن عدد أفراد الأجيال القادمة أكبر بكثير من عدد الأفراد الذين ظهروا حتى اليوم •

ولورد راسل لا يسمح باستخدام علماء النواة مغلب قط • وهو يورد من الأدلة ما يبين كيف أن نفراً من أكبر علماء النواة بادروا - منذ اللحظة التي ظهرت فيها أول قنبلة ذرية - فبنوا الحكومات إلى النتائج التي قد تنخفض عن الحرب النووية • وأهاب العلماء برجال السياسة أن يلغوا القنبلة الذرية ، وأن يؤكفوا هذا الالتفات بالقاء الحرب نفسها • وإذا كانت هذه الالتماسات لم تجد الأذن الصاغية فليس هذا ذنب العلماء • فهؤلاء العلماء قلة في العدد ، وهم ليسوا منظمين داخل جهاز يقدمون من خلاله على إجراء سياسى • ولورد راسل محق حين يلقي عبء المسؤولية - في النهاية - على عاتق مواطنى هذه الدول النووية • وإذا كان كل أثنى مسئول - إلى حد ما - عما فعله هتلر ، فإن كل مواطن من الولايات المتحدة ، والمملكة المتحدة ، والاتحاد السوفيتى ، مسئول - إلى حد ما - من الخطر الراهن الذي ينفذ الجنس البشرى بالفناء •

ومن بين الخنفيات الجبلية التي أداها لورد واسل في هذا الكتاب أنه جعلنا ندرك بجلالة ذلك التناقض بين جسامة الاخطار التي تسببها فيها ، وثقافة المصالح القومية التي تتصارع من أجلها - مصالح ستفنى مع فناء كل شيء آخر ، وذلك إذا تمت تصفية الجنس البشرى . وهو يبحث عن الجنود النفسية لهذا الجنون ، فيجدها في رعونتنا . اتنا نفضل اجراء ينهى حياة البشر على استسلام لارادة عدونا .

ترى ، هل هذه الرغبة في الحرب باى نجم سمة مركبة في النفسية البشرية ؟ هنا نجد أن لورد واسل متفائل أيضا ، وليس من شك في أنه محق في هذا التفاؤل . انه يؤمن بأن رغبتنا في القتال ترسبت من عادة اكتسبناها خلال عصور كان الجنس البشرى يقاتل فيها أقرانه من الوحوش كي يكتب له البقاء . وإذا أصبح الجنس البشرى سيد هذه الوحوش أخذ يشبع عادة القتال في حرب يعارب فيها الاخ أخاه . انها عادة قديمة ، وشريرة . بيد أن من الممكن تغيير العادة إذا صمم المرء على بذل المجهود الاخلاقي المطلوب . وان جعلنا ليدرك أن علينا ، في عصر الذرة ، أن نشقى أنفسنا من عادة شن الحرب إذا أردنا إبقاء الجنس البشرى . أما الشيء الغريب لنا ، الشيء الذي يسوء إلينا أبلغ اساءة ، فهو اننا لا زلنا نسمح لأنفسنا بأن نفكر ونحس ونصرف بالأسلوب القديم نفسه ، نفعل هذا بعد انصرام ستة عشر عاما على القاء القنابل الذرية على هيروشيما ونجازاكي .

ويقترح لورد واسل انشاء حكومة عالمية لها سلطة فعالة ، سلطة تجعل الحرب مستحيلة في المستقبل بيد أن أى مشروع لمستور عالمى قد يبدو أكثر جبالا من الواقع - هذا إذا نجعنا فعلا في انشاء حكومة عالمية بصورة من الصور . ذلك اننا جد متشبهين بالسيادة القومية ، لذا سنبتذل أقل جهد في هذا السبيل ، سنبتذل هذا الجهد المحدود بالتقسيت ، ولن نبذله الا في آخر لحظة . ومع هذا فمن الصبر تحقيق هذا القدر المتواضع .

وهنا نجد أن الأمن نقطة يعرضها لورد واسل قد يكون ذات طابع سلبي وهو يصر على أن من ألعبت اقتراح أية ترتيبات من شأنها تغيير ميزان القوى الحالى ، وهل هذا الاساس وحده قد تتاح فرصة قبول أية مقترحات عن طريق الجانبين .

ومن أضيق المهام ، في هذا العالم ، أن تجعل الناس يهتمون بشيء على جانب كبير من الأهمية ، شيء يعرفونه لكنهم يفضلون نسياله . وإذا

كان هناك شيء يسكن أن يحرك الأمم النووية فإن كتيب رأمل قد يكون  
هذا الشيء . والثمن الذي يدفعه القارئ لى شراء النسخة التي طبعها  
ينجوين يسكن أن يتجمع بالامتناع عن شراء صحيفة مسائية لمدة أسبوع  
واحد .

ومن بين الثلاث أمم التي تملك النواة تتكلم اللغتان الانجليزية ، لذا  
يفتضى الامر وجود ترجمة رومسية حتى تكتمل المهمة . فاذا امكن شحن  
كميات من هذه الترجمة الروسية على متن طائرة أمريكية والقاء هـله  
الصحلة على الارض السوفيتية ، فانن قد أجد نفسى أحبل فكرة اقتحام  
الطائرات الأمريكية للفضاء الروسى مرة أخرى !

## قطاع غزة (\*)

عندما دلغنا الى الطائرة التي ستقلنا من بيروت الى غزة كنا أمام نموذج لحكومة المستقبل العالمية - فقد تألف زملاؤنا في الرحلة من كولومبيال نيوزيلندي يمثل لجنة الهدنة في قطاع غزة ، وضابط هندي ، وجنديين برازيليين من قوة الطوارئ الدولية عائلتين من أجازتهما في لبنان ، أما جميع المدنيين الموجودين بالطائرة باستثنائنا (يقصد هو وزوجته ) فكانوا موظفين في وكالة الثروة والعمل التابعة للأمم المتحدة .

ربينا نحن نبتعد عن الشاطئ طائرين جنوبا ، لم استطع أن أصرف عيني عن اللوحة العريضة التي أخلت تتكشف - صيدا رسو : لقد رأيتهما وأنا على الأرض ، ولكن هاهو مسلم صوره انه نهاية خط الهدنة - من ناحية البحر - بين لبنان واسرائيل ، وكل ما وراء هذا الرأس جديد بالنسبة لنا - عكا ، جبل كازمل : ما أروع أن تبصرهما لأول مرة ، وبعد ذلك تتوالى رقع من الهضاب الرملية بلونها الاصفر الفاتح ، ورياسات البرتقال بلونها الاخضر الداكن ، لابد أن هذه المنطقة المرتفعة الضخمة هي تل أبيب ويافا ، ثم هالحن الآن لغير اتجاهنا ناحية الجنوب الشرقي ، عبر الساحل - وتمرق من تحت الجناحين الهابطين مدينة غاصة بالاكواخ شمالا وشرقا وجنوبا - لابد أنها غزة ، بغاجها المصنوع من الشوك ، من خيام اللاجئين - هانحن نلمس الأرض وتتأهب للتوقف ويقولون لي انه بعد نهاية المر بيارات قلائل يرقد الحط الفاحش بين القطاع واسرائيل - ذاك المنزل وذاك الحصان ، القابعين هناك ، موجودان في أرض اسرائيلية .

وبينما كانت عيناى تشربان اللوحة كان للبي يجلب من أدرجه بعض الاشياء التي كانت تثيرها هذه المنطقة التي جئت لزيارتها - غزة ،

☆ القطعة رقم ٦٩ من كتاب « من الشرق الى الغرب - رحلة حول العالم » من East to West. A Journey Round the World وكان قطاع غزة من بين الاماكن التي اُبججت للكتاب وبارتها . وظهر الكتاب لأول مرة عامي ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ .

لاجئون فلسطينيون: ألم يكن الفلسطينيون لاجئين لطموا رحلتهم بالقوارب والهربات التي تجرأها الليران قادمين من جزر بحر ايجه الى دلتا النيل ثم استقروا في القطاع بعد طردهم من مصر ؟ ألم تكن غزة أقصى مدينة جنوبية بين المدن الفلسطينية الخمس ؟ من المؤكد أن مواقع المدن الأربع الأخرى موجودة اليوم في إسرائيل . غزة : في هذا المكان جلب شمسون أعمدة المسرح - مرحبا بالموت ، مادام هذا ميقضى على أعدائه الفلسطينيين وفي هذا المكان أقدم القديس بوفريوس ، ذلك المسيحي المقدوني المتعصب ، على تدمير معبد الهنا ، إله غزة وراعياها ، بعد أن جذب الأسلاك اللازمة في القصر الإمبراطوري بالقسطنطينية . أنها أحداث مشنومة في تاريخ غزة المحلي ، إذ أن هناك في قطاع غزة اليوم كثيرين من المتعصبين وكثيرين من الأسرى . وأعصابهم متوترة للغاية ، ولا استبعد أن يقدموا على إجراء تدميري يأتس ، إجراء لن يحطم معبدا أو مسرحا واحدا ، وإنما يجعل صرح المدنية كلها ينهار محدثا دوبا في آذان الجنس البشري . وأحاول أن أسرى عن نفسي ، فأترك التفكير في غزة الى التفكير في وفع ، وأذكر تلك المعركة التي دارت هناك عام ٢١٧ قبل الميلاد ، وفيها التقت الأفيال الهندية والأفيال الأفريقية لأول مرة في التاريخ . (كسبت الأفيال الهندية المعركة . كانت الأفيال الأفريقية أكبر حجما ، ولكنها كانت أقل حظا من الهندية من ناحية التدريب وحسن القيادة) .

وأقصى طول للقطاع ، من وفع الى غزة ، هو خمسة وعشرون ميلا . ويتردد عرضه من ثلاثة أميال ، عند الطرف الشمالي ، الى خمسة أميال . وعلى طول الشاطئ تقريبا حزام من الهضبات الرملية ، واذ يتجه المسافر جنوبا داخل الأراضي ، يتحول المنظر الى صحراء ، ووراء غزة نفسها مساحات من الحقول الخضراء وبيارات ألبرتقال ، تحف بها أسوار ضخمة من شجيرات دائمة الخضرة ، شجيرات جزورينا أو فيء من هذا القبيل . غير أن الطريق المتجه جنوبا يصل الى نقطة يتحول فيها هذا كله الى أسوار من اللبن الشوكي ، وحيث تنتهي وصال الصحراء من خلال الفجوات . وقبل كارثة ١٩٤٨ كان عدد سكان القطاع ٩٠٠٠٠ نسمة تقريبا ، غير أنهم بلغوا اليوم حوالي ١٠٠٠٠٠ نسمة . بينما يبلغ عدد اللاجئين في القطاع ضعف هذا العدد . والسكان الدائمون يمانون شطاف العيش الآن ، ذلك أن شطرا من أفضل أراضيهم موجود في الجانب الإسرائيلي لخط الهدنة . غير أن لديهم على الأقل ما يعميشون منه ، وما يارسونه . أما اللاجئين فليس أمامهم سوى التفكير مليا في الظلم الذي وقع عليهم . لقد أساء الألمان الى اليهود ، غير أن العرب ، لا الألمان ، هم الذين دفعوا

شمن الأخطاء التي ارتكبتها الألمان . وتم هذا على يد البريطانيين والأمريكيين الذين انتصروا على الألمان الأعداء ، ويبدو هذا ، في أعين العرب ، مؤامرة حبرتها أمم الغرب للقضاء على شعور العرب بالذنب تجاه اليهود ، وذلك بتعويض اليهود على حساب العرب . ويتمثل رد الفعل ، في قلوب اللاجئين ، في الإصرار بمناد على رفع الظلم الواقع عليهم . . . يجب إعادتهم إلى أراضيهم وحقوقهم في ظل حكم غير إسرائيل ، فما الذي سيحدث لليهود الذين استوطنوا الأرض العربية التي أخلفت عنة ، وبدون إذن ، منذ عام ١٩٤٨ ؟ ويرد العرب : « لقد خلقت إنجلترا وأمريكا هذه المشكلة ، وعليهما أن يجدوا الحل » . وهو رد منطقي ، لكنه غير بناء .

وفي داخل كل معسكر يحتفظ اللاجئون بتنظيمهم القروي السابق إذ تخفص كل قرية لزعماء رئيسها « المختار » . وما زال لدى هؤلاء الرؤساء القدرة على تشكيل اتجاهات السكان ، وهم يميلون إلى تشكيل اتجاهات عنيفة ، فهم الذين عانوا - أكثر من غيرهم - تحول المسير . وبعضهم يملك أربعمائة أو خمسمائة فدان تقريباً من الأرض المزروعة إلى جانب أشجار المأكلة ، وكل ذلك موجود في الجانب الآخر من خط الهدنة ولكنهم يعيشون اليوم على الصدقة . لا مفر من أن يستشعروا مرارة ، وفي ظل الظروف الحالية لا تنقيد عواطفهم بالمسؤوليات التي كانت ملقاة في يوم من الأيام على عاتقهم ، قبل أن يفقدوا بيوتهم . أما اليوم فإن مسؤولية أطعام اللاجئين ، وإيوائهم ، وكسوتهم ، ورعايتهم طبياً ، وتعليمهم ، تقع على عاتق وكالة الغوث والعمل وعلى عاتق العاملين فيها .

إن هذه الوكالة التابعة للأمم المتحدة تقوم بمهمة جليلة في ظل متاعب مستمرة ، متاعب مالية ، وسياسية ، ونفسية . وميزانيتها لا تؤخذ من اعتمادات الأمم المتحدة العامة ، وإنما من الأنصبة التي تدفعها بعض الدول الأعضاء (تدفع الولايات المتحدة نصيب الأسد ، تعقبها بريطانيا مباشرة ، وذلك إجراء عادل) . أما الخطوات التي تتخذها وكالة الغوث والعمل لإعادة توطين اللاجئين في أماكن أخرى غير موطنهم الأصلي فتتلقى معارضة من حكومات الدول العربية التي يعسكر اللاجئون في أراضيها (تقوم الحكومة المصرية بإدارة قطاع غزة) . كما أن هناك معارضة من جانب اللاجئين أنفسهم . انهم يشعرون أن الرضوخ لهذا الاستيطان «الجديد» منناه انهم نيدوا حقهم في العودة إلى وطنهم . وقد تقول لهم : إن ألمانيا الغربية استوعبت لاجئي ألمانيا الشرقية داخل كيائها الاقتصادي - وحلقت الرخاء والقوة بهذا الإجراء - دون أن تتخلى عن حقها في الأراضي الألمانية التي استولت عليها بولندا والاتحاد السوفييتي غير أن هذا المثال

— الذى يبدو مناسباً — لا يقتنع العقول العربية كثيراً • انهم يرون أن الاحتفاظ بحقهم يقتضى منهم أن يرفضوا اقتراحات الاستيطان باستمرار •

ولو كالة الفوت والصل ميزانيتان : احداهما لسد رمق اللاجئين والاخرى لتاهيلهم ، ولقد بلغ من ضخامة الميزانية الاولى انها لاتغطي اللاجئين أكثر من حوالى ١٥٠٠ سعرا حراريا من الطعام فى الصيف ، ١٦٠٠ سعرا حراريا فى الشتاء ، أما استغلال ميزانية التاهيل فيتعرض للمعارضة السياسية من جانب الحكومات العربية • غير أن الوكالة تبلى بلاء حسنا فى ظل هذا الموقف المحير • ان أنصبة الطعام قد لاتكون متناسبة غير انها توزع بكفاية وعدالة ، كما أن هناك قائمة اضافية للأطفال والمجنزة والمرضى ، وتنمط وجبة ساخنة تقدم لهم فى منتصف النهار • أما الخدمات الصحية فتمتازة (وجدير بالذكر أن الجهود الخاصة برعاية الامومة تسترعى النظر) • ويتم تعويض الامهات على احضار الأطفال الى عيادة المسكر بمجرد ظهور أية بوادر شكوى ، أما الاعتماد الخاص بالتاهيل — والذى لا يمكن استخدامه فى إعادة التوطين — فيستغل فى التعليم • ومستوى تعليم اللاجئين ، شأنه فى ذلك شأن الرعاية الصحية ، قد يكون اليوم ارفع مما كان قبل تشريدهم ، ويحتمل ألا تكون هناك مجتمعات عربية كثيرة تنعم بهذه النسبة المرتفعة من فتيات المدارس ، والفصل فى هذه الاجراءات يرجع الى وكالة الفوت والصل ، ولكن ما نهاية ذلك كله ؟ ان عدد السكان اللاجئين يزداد بسرعة وان أعدادا كبيرة منهم تعلم لى شيء ؟ ما الذى يتطلعون اليه عندما ينتهى تعليمهم وخاصة الاقلية القادرة التى دخلت المدارس الثانوية ؟ ربما كان أكبر جهاز مشجع فى القطاع هو مركز التدريب المهنى التابع للوكالة ، ويبدو أن امام الفلبيين ، حتى اللاجئين منهم فرص العمل الدائم • ولكن أين هؤلاء من الكثرة الغالبة ؟ •

وإذا كان تسعمائة ألف لاجيء فلسطينى قنبلة ، فان مائتى ألف الذين يدرون فى قطاع غزة هم رأس هذه القنبلة المتفجير • هنا يكمن الخطر الذى يهدد أمن العالم ، والذى يحتل أيضا ضميره ، ولا يمكن حل هذه المشكلة البشرية الملحة دون تضحيات مؤلمة من جانب كافة جميع الاطراف المعنية : اسرائيل والدول العربية واللاجئين انفسهم • ومن واجب العالم أن يصير على التفاوض من أجل الوصول الى حل • ، فإن يدفع بسخطه من أجل تخفيف حدة مشاكله • وكذا استمرضنا أمم العالم كلها وبجدالة أن السبب الأكبر من المسئولية يقع على عاتق بريطانيا العظمى والولايات المتحدة ، وفى هذه النقطة على الأقل ، لاستطيع أن نكلم جميع العرب •



## مع أرنولد توينبى (٢)



إن مجال هذا الرجل هو مدنيات العالم ، قديمها وحديثها ، وفترته الزمنية هي خمسة آلاف قرن من التاريخ المدون ، أما إنتاج حياته اللهي فيشمل عشرة أجزاء يتألف منها كتابه «دراسة للتاريخ A Study of History» وقد قيلت في هذا السفر عبارات تصفه بأنه «رائعة خالقة» و « نقطة تحول في التاريخ نفسه » .

وكان ضيف المستر توينبى ، في عام ١٩٥٥ ، هو كريستوفر رايت Christopher Wright الزميل بجامعة هارفارد . وكان المستر توينبى قد بلغ في هذه الآونة التاسعة والسبعين من عمره . ولكن ، كانت هناك مشروعات لكتب أخرى في ذهنه ، وهو يذكرها هنا في خاتمة حديثه .

أرنولد توينبى : إنه لأمر غريب ، كما تعلم ، ذلك الأمر الذي يتصل بجلور المره . أنني أعرف جيدا أن جلوري هنا في لندن ، وربما كان السبب في ذلك أنني وأنا طلل نشأت هنا ، وكنت صغيرا جداً ، ونحن لا نستطيع أن ننطق وقتاً طويلاً في الانتقال إلى الريف ، ولذا كان علينا أن نوجد الريف في المدينة ، وهذه إحدى مميزات لندن ، فأنت هنا تجد الريف أيضاً . وعندما أرفع رأسي عن كتبي ، وأنا جالس إلى مكتبي هنا ، تستقر عيناى دائماً على خضرة تلك الشجرة ، وذلك البرعم الراقدة هناك في حديثي . لمست أقصد من وراء هذا بالطبع أنني لأحب الأماكن الريفية . ربما كنت أحب مكاناً في يوركشاير أكثر من حبي للندن . وهناك مناطق في إيطاليا وإيران أحبها جداً ، غير أن لندن — في بعض الأحيان — هي المكان الذي أضطر إلى أداء معظم عملي فيه ، هذا ما اكتشفته دائماً .

---

أذيع هذا الحديث على شاشة التلفزيون الأمريكى في حينه ، ثم نعر — بعد امداده لطبع — في كتاب « الحكمة » Wisdom الذي يضم أحداث أخرى مع حكماء العصر الحديث من فلاسفة ، وساسة ، وفنانين ، ورجال دين .

كريستوفر وايت : اذن فقد ألفت السطر الأكبر من «دراسة للتاريخ»  
هنا ، اليس كذلك ؟

تويشبي : الواقع ، اننى منذ الحرب كتبت أربعة أجزاء هنا ، فى حلاء  
الحجرة بلندن - معظم الأجزاء الأربعة على الأقل . وكتبت شيئا فى  
برنستون ، ونيوجيرسى ، وشطرا لأباص به وأنا فى المحيط جبهة وذهابا  
أما الأجزاء الستة الأخرى فقد كتبت معظمها فى يوركشاير الفنى كنت  
أتحدث عنها الآن .

وايت : ماهو الزمن الذى استغرقه تأليف الأجزاء كلها ؟

تويشبي : لقد استغرقت سبعة وعشرين عاما يستثنى منها بالطبع  
سبعة أعوام التهمتها الحرب العالمية الثانية ، ومن الطريف أن أذكر اننى  
عندما دونت كل مالى من نقاط طننت أننى أستطيع كتابتها فى صيفين  
ولكنها استغرقت منى سبعة وعشرين عاما .

وايت : كثيرا ما تساءلت فى دهشة : كيف تسنى لك أن تبدأ فى  
مثل هذا المشروع ؟

تويشبي : أعتقد أن الجواب موجود فى الواقع عند أمى . ليس معنى  
هذا أنها اقترحت الموضوع . لقد كانت هى الأخرى مؤرخة ، ولقد نشأت  
وأنا أفترض أنى سأغدو بنورى مؤرخا بسببها . هك صورتها ، أنها  
على مكتبى دائما ، تبدو جد شابة . لقد كانت فى أحد الفصول الدراسية  
التي سبقت غيرها فى تلقى دراسات جامعية بجامعة كيمبردج بإنجلترا .  
وعندما كنت صغيرا ، وعندما كانت توسدننى فراشى ليلا اعتادت أن تحكى  
لى تاريخ إنجلترا فى حلقات ، الى أن انتهينا منه تماما خلال عام تقريبا .

وايت : يخيلى الى اننى أذكر اشاوتك أيضا الى أفراد آخرين فى  
أسرتك ، بعض الأخوال ، اليس كذلك ؟

تويشبي : حسن ، نعم ، هذا صحيح . كان هناك مثلا خالى الكبير  
هارى الذى كان يعمل قبطانا ، لم يبحر أبدا فى باخرة ، وإنما كان يركب  
على الدوام إحدى هذه السفن ذات الأشرعة الثلاثة ، ولقد وضع العالم  
فى خريطة أعداه لى - رأس الرجاء الصالح والهند وكل محيطات العالم .  
ما أبعد حلاء الطريقة عن طريقة خالى باجيت ، الذى كان أستاذنا مدققا .  
أذكر أنه أرسل فى طلبى وأنا فى السادسة عشرة من عمري ، وذكر لى أن  
من واجبى أن أخصص ، وقررت ، على الفور ، اننى بسبيل ذلك . ويخيلى  
الى أن اسم الأسرة مشهور بسبب خالى أرنولد ، الذى أخذت عنه اسمه .

حات صغيرا ، وهو فى حوالى الثلاثين من عمره ، وكانت «قاعة تولى»  
أول مقر فى لندن ينشأ تخليدا للذكراء .

وايت : ازاء كل هذا التنوع فى اطارك الاسرى يهمنى أن نعرف من  
الذى أنز عليك أكثر من غيره . كيف أصبحت مؤرخا ؟ اعتقد أن ذلك  
مرجعه ، دون شك ، الى والدتك - أليس كذلك ؟

تولى : اننى على يقين من أن والدتى هى السبب . وفى مرحلة  
من المراحل كانت مدرستى تطفى على هذا التأثير . لقد التحقت بمدرسة  
عتيقة جدا ، مدرسة وينشستر ، التى تأسست فى نهاية القرن الرابع  
عشر .

وكانت دراستهم آن ذاك ، كلاسيكية ، من القرن السادس عشر ،  
مع ادخال تجديدات عليها . ولأعتنى هذه الدراسة . كانت هناك ترجمة  
لفقرات الانجليزية ، الى اللاتينية واليونانية ، والشئ المدهش أن الدراسة  
التي كانت تبلى عدوة الأفق أدت الى توسيع مداركى . . اليك امرسون -  
كان أستاذى يمتد أن امرسون هو أصلى كاتب يمكن أن نترجمه الى نثر  
اليونان الاغلاطونى ! وجعلنى هذا أعرف امرسون .

وايت : تلك فكرة طريقة - أن تطفى تربية محدودة متخصصة ، فى  
مظهرها ، الى عديد من الاهتمامات .

تولى : نعم ، انها تفعل ذلك . اننى أفكر الآن فى هيرودوت .  
عندما كنت بالمدرسة كان على أن أترجم كمية رهيبه من كتابات هيرودوت  
اليونانية الى الانجليزية . كان هيرودوت مؤرخا يونانيا قديما يكتب فى  
القرن الخامس قبل الميلاد ، غير انه أصبح بالنسبة لى نسخة ثانية من خالى  
هارى - اذ فتح لى رقعة شاسعة من آسيا . آه . . لقد بلغ من شغفى  
بقراءة هيرودوت وأنا بهذه المدرسة اننى أعددت كتابا مصورا ، صبيانيا ،  
وكتبت مقالة وزيتها بالرسوم أيضا ، تماما مثلما كان يفعل هيرودوت .

وايت : أما زال هذا الكتاب المصور فى حوزتك ؟

تولى : نعم ، انه على . الواقع انه ورائى الآن تماما .

وايت : فهل تسمح لى بتصفحه ؟ اننى أود ذلك .

تولى : تستطيع بكل تأكيد . هاك الكتاب ، نحن الآن فى عام  
١٩٠٣ . لابد اننى كنت لى الرابعة عشرة من عمرى حين كتبتة - هاهم  
سرس اجيزر كمينز Xer X .

وايت : جميل جدا . كل هذا وانت في الرابعة عشرة من عمرك ؟

تويشي : نعم . انه لاسر طريف ولكنك اذا تصفحت الجزء السابع من «دراسة للتاريخ» فستجد مقالا عن جيفس اجزيركمينز ، هذا الملال اعتاد للمقالة الصبيانية التي تراها هنا مع استبعاد الرسوم . لم يكن بقدرهم أن يعيدوا طبع الرسوم . هناك كتابا آخر أكثر قنما . لاذكر كم كان عمري عندما فعلت ذلك ، ربما كنت في السابعة آن ذاك .

وايت : غير أن كل الأجسام المرسومة هنا لها رؤوس حيوانات . ثم ذلك ؟

تويشي : آه ، هذا صحيح . أوه . الآن تذكرت - كانت أمي تقرأ لي ، آن ذاك ، في كتاب «الم رؤوس» Unale Remus ويهرني «الم رؤوس» وهكذا استحالت كل الشخصيات ، في هذا البحث بأكمله ، إلى شخصيات لها رؤوس حيوانات - وكلها مأخوذة عن رسوم «الم رؤوس» .

وايت : إذن فقد عشت في الماضي زمنا كبيرا وانت صبي ؟

تويشي : أعتقد أنني فعلت ذلك ، ولكن من الطريف أن المسافر اعداني بعد ذلك إلى الحاضر . انني أضيق إلى رحلتي الأولى إلى اليونان . حدث هذا عام ١٩١١ ، قبل نفوس حرب البلقان بعام واحد . ذهبت إلى اليونان لا لشئ ، إلا لأدرس التاريخ القديم - ولم تكن لدى أدنى فكرة عن العالم الحديث . غير أن هذه الرحلة إلى اليونان ، من أجل التساريت القديم ، هي التي وضعت العالم الحديث أمامي في وسط اللوحة . وكان هناك على ظهر المركب المبحر إلى اليونان ، أمريكي يماثلني في السن ، وكان قد مارس نصف نسيئة من الوظائف المختلفة ، واستطاع أن يدخر من المال مايسكنه من الطواف بالعالم . وأذهلني . كنت أظن أنني غير متخصص بالقياس إلى خالي باجيت ، غير أنني صرت متخصصا تماما بالقياس إلى هذا الأمريكي الشاب .

واستطيع أن أتذكر كيف كنت أطوف باليونان ، وأقضي الليل في قرية يونانية ، وأذهب إلى متجر المدينة ، واستمع إلى الرجال وهم يتجادلون أطراف الحديث . كانوا يتكلمون عن شئ اسمه : السياسة الخارجية للسيز . ادرارد جراى Sir Edward Grey في إنجلترا . غير أنهم كانوا يتحدثون عن هذا ، عن وزير خارجيتي أنا ، ويربطون بينه وبين حرب مستشبهة ، في هذا الربيع أو في الربيع التالي ، حسن ، أدهشني هذا كثيرا . لم أسمع

قط بهذا في إنجلترا . غير أن حديثهم وضع في المسائل الدولية في اللوحة .  
الواقع انه كان أول درس في المسائل الدولية .

وايت : فكيف ساعدك ذلك في عملك ؟

تويثي : يخيل الي أنني لم أكن لاستفيد منه لولا أن الحرب العالمية الأولى نشبت بالفعل ، وكان اليونانيون يعرفون انها مستحسب ، وعندما اندلعت ، ونظرا لأنني طفت باليونان وتركيا قليلا وألمت بشيء من الشرق الأدنى الحديث ، أخذوني في وزارة الخارجية البريطانية . كنت قد أصبحت بالدوسنطاويا في اليونان ، ولذا لم يكن بمقدوري أن أنضم إلي الجيش . وعند نهاية الحرب ، استقر بي المقام في وفد وزارة الخارجية إلى مؤتمر السلام بباريس .

وايت : الآن فانت لم تعد بعد ذلك قط إلى التاريخ القديم البحت ؟  
تويثي : الواقع أنني كنت آن ذاك أقف بين الماضي والحاضر ، وخلال الحرب ، وفي طريقى إلى مؤتمر السلام بباريس ، اشتغلت لدى لورد برايس - جيمس برايس James Bryce مؤلف كتاب الكومنولث الأمريكى The American Commonwealth كان انموذجا للعالم الجديد بالنسبة لي . ها هو مؤرخ كبير ، وفي الوقت نفسه سياسي كبير ، وسفير ، ورجل يلم بأمور الدنيا . لقد مزج بين الماضي والحاضر . لاحظت هذا .

وايت : أرجو ألا أكون منقطعا إذ أذكر أنك ذهبت إلى اليونان مرة أخرى ، وعملت مراسلا ، اليس كذلك ؟ مرة أخرى مزيد من العمل .

تويثي : بذلت محاولة أخرى في ذلك الميدان ، وكانت في الجانب المصرى هذه المرة . كانت جامعة لندن قد أنشأت كرسيًا جديدًا لمادة اليونانية الحديثة ، وعينت في هذا المنصب . ولقداني هذا إلى آسيا من جديد . وبعد الحرب العالمية الأولى كان اليونانيون والأتراك يخوضون غمار حرب خاصة بهم في آسيا الصغرى ، وأردت أن أرقب هذا الأمر . وكان علي أن أدفع نفقات وحلقت من جيبي الخاس . وهكذا عملت مراسلا لصحيفة «مانشستر جارديان» . وأوقعتني هذا في المتاعب ، وحدثت أشياء حمزية للغاية ووقعت في ورطات . وأخرجوني من منصب الاستاذية ، وانتهى بي المقام في « شاتهام هارس » .

وايت : ونظرا لأن « شاتهام هارس » معهد للمسائل الدولية فقد جعلك هذا مشغولا بالمرح المعاصر ، اليس كذلك ؟

تويثي : هذا ما حدث - هناك ذلك المسح العنوي للمسائل

المولية ، وقد ظلمت أصدره ثلاثين عاما . وهذا يلودك بالطبع الى الماضي ، عليك أن تتصق الاحداث الراحنة ، ومعنى ذلك : أن تراها داخل اطارها التاريخي . وقد يعود بك هذا الى عشر سنوات مضت أو مائة عام أو مئات ان كل نقطة قد تكون لها صلتها بالموضوع .

وايت : ولكن ، كيف يتسنى لك اصدار هذه الدراسات السنوية - التي تتطلب وحدها مجهودا كبيرا - وتنفذ ، في الوقت نفسه ، ذلك المشروع الخاص بدراسة التاريخ كله .

توبيش : الجواب هو : زمالتي مع زوجتي . فخلال تلك الاعوام الثلاثين كنا ، هي وأنا ، نعد المسح السنوي معا . وما زلنا نعد ، سويا . تاريخا للحرب في السلسلة نفسها . هذا هو جوابي على السؤال ، واعتقد انه كاف للغاية . لقد كانت زمالة كاملة بالنسبة لي .

ثانيا : قدر معين من تنظيم المرء لحياته . اذا كان للمرء أن ينجز شيئا فعليه أن يتعلم أنه لا يستطيع انجاز أشياء أخرى . ان الأوتوبيس الذي يقلنا الى منزلنا كل مساء يمر بنا أمام دالبرت هول ، بلندن ، حيث يقيمون حفلات الموسيقى ، وكثيرا ما نشعر بالخجل حين نرى الشباب عائدا من عمله وقد توقف عند دالبرت هولبه ليستمع الى إحدى الحفلات الموسيقية دون أن يتناول عشاءه - و - حسن ، ونشعر بأننا شخشا ، ولكن ، كل مافي الامر اننا مرهقون جدا . علينا أن نتخل من الحفصل الموسيقي . انك تتخلى عن الكثير . ولكن عليك أن تفعل ذلك اذا أردت انجاز عملك .

وايت : هذا صحيح . ومع ذلك ، أفلا نستطيع أن نقول ان مؤلفا كمؤلفك «دراسة للتاريخ» كان يمكن أن يعده مجموعة من الكتاب ؟ لماذا اضطرت الى انجازه بأكمله وحده ؟

توبيش : لا اعتقد أن هناك لجنة تستطيع أن تؤلف كتابا . ان هناك أشياء لاحصر لها مما تستطيع اللجنة انجازه . انها تستطيع اوه ، ربما تستطيع أن تحكم بلدا . ولكن لا اعتقد انها تستطيع تأليف كتاب ، اعتقد أن الكتاب يجب أن يكون وليد عقل واحد . وليس من شك في أنها مهمة ضخمة ، ثقيلة ، واعتقد أن الكاتب سيحصل من الآخرين على كل ما يستطيع من عون - اذا كان عاقلا - غير أن المسؤولية تقع على عاتقه وحده ، يجب أن تمر مادة الكتاب من خلال عقله . ولكنه يحصل من كل مكان يستطيع الحصول على العون منه .

لقد تعلمت الكثير من هذا المجال من إعدادنا للمسح السنوي

للمسائل الدولية ، ثم طبقته على الكتاب الآخر ، كتاب «دراسة للتاريخ» تعلمت كيف تتعرف على آراء نقادك في كتابك قبل أن تنشره ، قبل أن يهتف أو أن التغيير والتعديل بدلا من أن تنتظر حتى ينفذوا كتابك في الصحف ويذهبونه ، لقد طبقت هذا المبدأ كثيرا في أجزاء من الكتاب شعرت فيها أنني لست متأكد ، أو في مواضيع لم أقف فيها على أرض صلبة . وأنا أذكر أيضا في مدى استفادتي من المؤلفات المفصلة التي وضعها ، في الآونة الأخيرة ، لأمورخونا فقط ، وأنا المستشرقون وعلماء الآثار أيضا . وأرى أنه لابد من وجود رجل واحد ينجح ذلك كله - ولكنه إذا كان عاقلا فسينشد الصوت من كل مكان يستطيع أن يجد فيه العمود .

وايث : هل تعتقد في إمكانية وجود دراسة واحدة ، مفصلة للتاريخ؟

تويشي : لا ، لا اعتقد ذلك ، لأن التاريخ يتحرك دوما . بالأمس ، وأنا أتصفح جريدتي وأتتبع ما يصنمه المستر دالاس والمستر آيدن ، كانت عيني الأخرى تتابع ما يفعله علماء الآثار ، ذلك لأنهم كانوا يقبلون تاريخ ألف العام الثاني قبل الميلاد ، يقبلونها رأسا على عقب - لقد اكتشفوا موقعا قديما في الاناضول ، كان التاريخ يتحرك بأسرع مما يتحرك القرن العشرين .

وايث : إذن فأنت ترى أن التاريخ تجميع لتجارب الأمم للاستفادة منها اليوم ؟

تويشي : نعم ، والتاريخ الذي لا يستغل ليس شيئا بالمرّة . إن الحياة الفكرية كلها عبارة عن حركة وعمل ، شأنها شأن الحياة العملية ، وإذا لم تستخدم هذه المادة - حصن ، إنها ستكون في حكم المادة الميتة .

وايث : يبدو مما تقوله : أنك لم تكن بمستطيع تأليف «دراسة للتاريخ» لولا دراستك للمسائل المعاصرة في «شما تهام هاوس» .

تويشي : نعم وعلى كل لأن العصر الوحيد الذي تضع فيه يدك على أناس أحياء هو عصرك أنت ، عندما تكون حيا . فإذا حسن ، ربما استطعت إذن أن تحيي الذين عاشوا في عام ١٠٠٠ أو ٢٠٠٠ قبل الميلاد . ولكذلك إذا عجزت عن دراسة الأحياء ودراسة طبيعتهم ، عجزت عن دراسة الجنس البشري في أي عصر كان .

وايث : أفهم أن هناك عنصرا شخصيا في تحليل أي مؤرخ للتاريخ ، ولكن ، لابد من وجود عنصر علمي أيضا - لابد من ظهور أنماط معينة ، ليس كذلك ؟

توبيشى : تلك نقطة يتحسس لها الناس كثيرا في هذه الايام . وهناك كما تعرف ، خلاف كبير حول هذه النقطة . واعتقد اننى اعنى بكلمة (علم) اكتشاف ، وفهم - أوه ، اكتشاف وفهم أنماط متكررة ، موحدة - تتردد - وهو ما يسميه العلماء بـ «القوانين» وبعض المؤرخين ينكرون تماما مثل هذا التكرار والتوحيد في الامور الانسانية . وهم يقولون ، كما تعلم : ان التاريخ لا يكرر نفسه . ولكنى متعصب ، الى حد ما ، لهذه النقطة . واعتقد ان التاريخ يكرر نفسه الى حد ما . واعتقد اننى في مقدورك اكتشاف عدد معين من الاشكال الموحدة في التاريخ القديم .

ولكنى لست حتميا في الوقت نفسه . ولا اعتقد اننا محرومون من الإرادة الحرة . ولا اعتقد ان أنماط الماضي تتكهن بالمستقبل وتحدد شكله . اعتقد اننى في هذه الأنماط عنصرا من عناصر الحرية .

وايت : ترى ما نظريتك في التاريخ ؟

توبيشى : انه سؤال ضخم . يخيل الى اننى اكتشفت منذ البداية اننى لا أستطيع ان أتناول الأمم كوحدة في دراستى التاريخية . معظم مؤرخينا يكتبون التاريخ على انه تاريخ أمم . غير اننى وجدت ان الأمم أصغر من أن تتناسب مع الدراسة التاريخية ، وأحسست بأنها شذرات من شيء أضخم ، شيء كان على ان اسمى وراه . وهكذا سميت وراء المدنيات . مثال هذا اننى لم انظر الى الامور على اعتبار انها مجرد تاريخ امريكى او تاريخ فرنسى او تاريخ ايطالى ، وانما على انها تاريخ غربى ، او تاريخ افريقى ، او تاريخ هندي ، وهكذا - وحدات ضخمة حوالى عشرين منها . وشرعت ادرس تشرح هذه الوحدات - او بمعنى آخر : تاريخ حياتها . وخيل الى اننى وجدت ان عددا منها انهيار وتمزق اربا اربا ، وان هذه النهاية حلت بها داخل نمط معين . غير ان هذا لم يجعلنى حتميا . لم يجعلنى اؤمن بان المصير سيحل لا محالة بمدينة مثل مدينيتنا ، والتي ما زالت حية . واتصا جعلنى أحس ان هناك تحديا كبيرا لاية مدنية تظهر عليها بوادر الانهيار ، وهو ما تبديه مدينيتنا اليوم . ولكنى اؤمن بان امامنا حرية تقرير مصيرنا .

غير اننى لم آتته عند المدنيات ، ذلك لانك حين تدرس انهيار المدنيات في الماضي وارتباطها ، الواحدة بالآخرى ، تجد انك تصل الى منشأ ديانات الصالح الكبرى - المسيحية ، والاسلام ، واليهودية ، والبوذية ، وغير ذلك . ولقد انتهيت ، في اجزائى الاخيرة بوجه خاص ، الى ان الديانات الكبرى هي الأنماط الكبرى للتاريخ ، وانه يحتمل ان



تتمكن بالمستقبل . بدأت ، كما قلت ، بالمدينيات باعتبارها مفتاحي الأول الذي أفتح به مغاليق التاريخ - هذا اذا أستطاع انسان ان يفتحها ثم عثرت على مفتاح ثان ، واعتقد انه يوصلك الى نقطة أخرى ، هذا المفتاح هو الابدانات الكبرى .

وايت : كيف يصرف انسان الى مدنية او يكتشف سماتها ؟

هل هنالك عنصر معين يميز مدنية عن أخرى ؟

تويشي : كانت نقطة البداية لي عمل : الوحدات القومية ، وشرعت اتوسع وأقول لنفسي ان الوحدات القومية ليست كاملة في حد ذاتها. انت لا تستطيع ان تفهم التاريخ الامريكى من مجرد دراستك لامريكا ، ولكنى أريد ان أرى أصغر الوحدات التى تستطيع ان تفهم منها امريكا ، وقادنى هذا الى ما أسميه بالعالم الغربى - المسيحية الغربية بالذات - ذلك الجزء من العالم الذى لا يبدو ان يكون جزءا صغيرا غير انه اكبر بكثير من أية أمة واحدة . ومع ذلك فهذه الوحدة الاكبر تسير على الأساليب والعادات نفسها ، ولديها التقاليد نفسها ، والديانة نفسها ، واسلوب العيش . أقصد انك لا تستطيع ان تفهم التاريخ الامريكى دون ان تعرف شيئا عن أوروبا الغربية ولكنك قد تفهم التاريخ الامريكى دون ان تعرف الكثير عن الهند ، أو الصين ، أو العالم الإسلامى .

وايت : أى نوع من الاتجاهات يلم شمل المدنية ؟

تويشي : حسن ، اذا فكرنا مرة أخرى فى مدينتنا الغربية ، خيل الى أن الذى يلم شملها احتفالنا بالحرية الفردية - أو ما يمكن ان نسميه بقدسية شخصية الفرد. أما بالنسبة للمدنية الهندية فقد يكون الرابط نوعا من أنواع الرهد فى هذا العالم - شعور الهنود بأن النجاح المادى والانتصار المادى نوع من الوهم وأن الشيء الحقيقى إنما يوجد فى غير هذا العالم . . وهو أمر يبدو مختلفا من وجهة نظرنا . أما الذى يميز الصينيين فهو احتفالهم الكبير بالروابط الأسرية - والتقاليد - وهكذا ترى انك أمام ما يمكن تسميته بـ « الأسلوب » ، ان شئت جازى يستخدم هذه اللفظة لى حديثه عن المدينيات و « الأسلوب » هو الذى يميز مدنية عن أخرى .

وايت : هلم الاحاسيس تلم شمل المدنية ، ولكن لماذا إذن تنهار المدنية او تتحلل ؟

تويشي : اعتقد أن السبب فى ذلك - ولتستخدم اصطلاحا عتيقا

٢- الخطيئة الأولى المركبة في الطبيعة البشرية ، كما أن السبب موجود في افتقار شئون البشر الى الكمال . أن كل ما هو بشري يعيل الى الانهيار . أننا نعيش في خطر دائم ، وعلينا - دائما - أن نكون على حذر، ذلك لان البقعة الأبدية هي الشمس الذي تدفعه لقاء أى شيء تحققه الكائنات البشرية .

دايت : هل تصد أنك تعتبر المدنية شبيهة بخلية حية مآلها الموت ؟

توينبي : لا ، أنا لا أفكر في المدنية على هذا النحو . ويخيل الى أن ذلك تشبيه زائف . وأعرف أن الكثيرين أوردوا هذا التشبيه . ولكنى لا اعتقد أن المدنية - التي لا تعدوا أن تكون شبكة ضخمة من العلاقات بين الأفراد من البشر - لا اعتقد انها مثل الخلية الحية تماما . وإذا كنا نعرف أن أبة خلية واحدة لا بد أن تموت أن عاجلا أو آجلا ، فإن هذا لا يعنى أن نظام الصلات والروابط يجب أن يموت .

دايت : ومع ذلك ، فقد وجدت أن المدنيين قد ...

توينبي : قد ماتت في الماضي ، نعم . ولكن ذلك لا يجعلنى ، مرة أخرى ، أومن بالقدر أو المصير . لقد لاحظت ، على منبيل المثال ، أن أعمارها تمتد لفترات مختلفة . فبعض المدنيين عاشت بضع مئات السنين فقط ، على حين عاش البعض ألف سنة أو خمسة عشر ألف سنة .

دايت : فما هي السمات التي تميز مدنية قصيرة الأجل عن أخرى طويلة الأجل ؟

توينبي : أن هذا يقودنى الى عبارتى ، أو قل : عبارة روبرت براوننج : التحدى والاستجابة . أعتقد انه في كل لحظة من حياة كل فرد فينا ، وفي كل لحظة من حياة مدنية من المدنيين ، يتحدانا على الدوام موقف جديد - موقف علينا أن نواجهه ، فلما نجحنا أو فشلنا . وقد نفشل في أبة لحظة ونبدأ في الانحدار ، وقد ننجح ونستمر في العيش .

دايت : فإين تلف مدنيتنا الآن على ضوء تحليلك ؟ وبعبارة أخرى : ما التحدى الذي يواجهنا في هذا العصر وما الاستجابة المتوقعة ؟

توينبي : أود أن أقول ان التحدى يتخذ الشكل التالي : هل سندع أنفسنا نسير في الطريق الذى سارت فيه جميع مدنيات الماضي

التي انهارت ، كما تعرف ، وتمزقت ادبا ادبا ؟ نستطيع أن نلمس مظاهر كثيرة للموقف نفسه - أهمها أن زمام الحرب افلت . ونحن نعرف ملأ كانت النتيجة في تاريخ المدنيات السابقة ؟

هل يجب علينا أن ندع هذا يحدث ؟ هل نقف مكتوفى الأيدي وندع مدينتنا تنهار ؟ أم أننا نستطيع أنقاها ؟ اعتقد أن هذا يشكل تحديا . وأنا ، شخصا ، متفائل ، ذلك لاني أومن بقدرتنا على أنقاذ أنفسنا اذا شئنا ذلك .

وايت : يخيل الى اذن ، اذا نظرنا الى مسألة تجنب الحرب ، والحرب المدمرة ، أن التحدي الحقيقي إنما يواجه الولايات المتحدة وروسيا ، وهما مطلقتان بتجنب الحرب .

توينبي : نعم . وايست المسألة سهلة ، وخاصة أن العالم كله منحاز الى مجرد ممسكين كبيرين ، فقط . . . كما أنه ملح بهذه الاسلحة الذرية . أنني أئس هنا شيئا جديدا . لم يسبق لنا أن امتلكنا اسلحة بهذه القدرة على التدمير . كما أنني أئس هنا شيئا يدعو الى الأمل . فبالرغم من أن اسلحة جديدة قد اخترعت في الماضي ، وبالرغم من آثارها المروعة ، فأنني لم أسمع في التاريخ بسلح جديد أثر على أخيلة الناس مثلما أثرت الاسلحة الذرية على أخيلتنا . اعتقد أن إلابين الناس ، في جميع أنحاء العالم ، قد مرتوا تماما أن ظروف الحرب تغيرت ، واعتقد أن هذه النقطة بشير أمل .

وايت : اذن فاكشفاف الطاقة الذرية لايندر بقدر محتوم وأنما يبعث في نفسك الأمل ؟

توينبي : نعم . من الواضح أننا نمر بفترة عميرة جدا ، وخطيرة ، وقلقة . ولكني لا أرى فيها علامات المصير المحتوم .

وايت : عندما أفكر في المجال الضخم الذي يتناوله كتابك « دراسة للتاريخ » ، أسأعل في دهشة : ما مكان الفرد في هذه المدنيات التي تتحدث عنها ؟

توينبي : تلك نقطة هامة ، ليس كذلك ؟ ذلك لان المرء ، عندما يستعرض تاريخ الماضي، يجد قلة من الافراد الذين - حسن ، الذين صنعوا التاريخ - أنني أفكر الآن في المستر تشرشل عام ١٩٤٠، عندما كتب يقول انه يشعر بأنه يسير مع القدر . وكان يقصد بذلك : انه مسئول شخصا عن صياغة مجرى الامور . ولكني أؤسن بأن الناس جميعا هم الذين

يصنعون التاريخ . ربما كان المستر تشرشل قد قام بدور الرعيم ، ولكن لو لم يتبعه خمسون مليوناً من الرجال ، والنساء ، والأطفال البريطانيين ، لما كان لهذه الزعامة وزن يذكر . إن لكل واحد فينا وزنه في التاريخ ، وإن يكن هذا بدرجات متفاوتة . ومهما يكن الأمر فإن الأفراد هم الحقائق الوحيدة في التاريخ ، ليس كذلك ؟ ليس هناك غير الصلات بين الكائنات البشرية . وإذا كان التاريخ لا يكتب على يد الكائنات البشرية ، فإنه لا يكتب على يد أي شيء آخر . إن كل شيء يصاغ ويتحلل ، كل شيء يخلق ويتحطم ، كل شيء ينجح أو يفشل . كل هذا يتم على يد الأفراد .

**وايت :** ولكن ، يبدو لي أنك حدثت التحدى أيضاً في صورة الدين .

**توينبي :** نعم . وأعتقد أن أي تحسد حين يمس الشئنا ، حين بضحك في مواجهته بالفعل ، يجعلك مع الدين وجهاً لوجه . ولقد غابت عنا هذه النقطة في عالمنا الغربي ، ف منذ قرنين أو ثلاثة تقريباً ، وبعد تلك الحروب الدينية التي تقاثلنا فيها ، الكاثوليكيون منا والبروتستانتيون ، سئمنا الدين : بدأ لنا الدين وهو لا يقضى إلى شيء سوى الحرب والشحناء والكراهية والقسوة ، وتحولنا إلى أشياء أخرى - إلى العلم والتكنولوجيا - باعتبارهما اهتمامات مأمونة ، اهتمامات بريئة بالقياس إلى الدين . ولكني أعتقد أن الكائنات البشرية لا تستطيع أن تعيش قط بدون دين . وهنما تتمرشك فترة متأزمة ، ونحن نعيش في فترة متأزمة من الناحية الروحية ، فإن الدين يواجهك ، وعليك أن تعالجه .

ومن الصعب جداً أن يحدد المرء ما الذي يعنيه بكلمة الدين ، ليس كذلك ؟ أعتقد أنني أقصد بها : السر الكامن وراء الأشياء التي نستطيع أن نتناولها ونلمسها - السر الكامن وراء الظواهر ، كما نسميها . لا يكفي أن ندرك أن هناك سرا ، وإنما يجب أن لمس السر بالتراضع الشديد أمامه ، وبالرغبة في الاتصال به ، والانسجام معه . فإذا نظرت إلى الدين هذه النظرة المريضة ، فهذا ما أعنيه بكلمة الدين . وأعتقد أننا إذا وجعنا إلى الدين قلن نرجع إليه وهو بالصورة التي كان عليها يوم ابتعدنا عنه . إن الأمور لا تكرر نفسها على هذا النحو . أريد أن أقول إن كل التجارب التي مررنا بها ، والأشياء التي تعلمناها ، ستندمج في نظرتنا الجديدة إلى الدين .

**وايت :** لقد سميت إلى الالام بالكثير من الأمور ، وكثيراً ما عن لي أن أسألك : ما الحدود التي ترى أن أدراكنا قد يقف عندها ؟

تويشي : فيما يتعلق بي وحدي ، أمل أن أكون قد تعلمت - حسن ، تعلمت ما يكفي لاعلامى بضالة معارفى . وعلى كل فكلما تعلمنا - اليس هذا صحيحا ؟ اكتشفنا مدى ضالة معرفتنا . ونحن نرى العالم المبادئ مبتدا من ناحية الى ما لا نهاية ، وعمتدا من ناحية أخرى امتدادا ضئيلا جدا لا يكاد يذكر . افلا ينطبق هذا الوضع على العالم الروحي أيضا ؟ ونظرا لأن علماء النفس يظلموننا على عالم لانهاى فى داخل كل واحد منا ، ولأن الديانات الكبرى ترىنا عالما لانهاى خارجنا ، فأننى أعود الى النقطة التى سبق أن أشرت اليها - وهى أننا نرجع الى السر الكامن وراء الظواهر ، فإذا اقتربنا من هذا السر فى تواضع فإنه يبيدنا الى الدين وجهها لوجه .

وايت : أفهم ما قلته فى أنك لن تدعى إذا رأيت أن كتابك «دراسة للتاريخ ، سيغدو عتيقا فى المستقبل ، ما رأيك ؟

تويشي : اننى على يقين من أنه سيغدو عتيقا . اننى أعتبر افكارى . . حسن ، أعتبرها مفاتيح لتفتح سلسلة من شئون البشر . وأعتقد أنها مفاتيح جيدة ، وأنها تفتح الابواب بالفعل . غير أن لكل آلة وظيفتها وامكانياتها المحدودة . والتاريخ يتحرك اليوم بسرعة كبيرة كما قلنا . والذى آمله أيضا ، كنتيجة من نتائج كتابى ، أن أحفز الآخرين الى دخول ميدان البحث هذا . وكلما ازدادت الجهود المبذولة فى هذا الميدان تغيرت افكار الناس بصورة أسرع ، وفى وقت مبكر . وصاعتبرها علامة من علامات النجاح إذا حل مجهود آخر محل مجهودى الشخصى . ان مجهودى مجرد حلول من الماء الذى فى نهر . ولن يتغير تدفق الماء فى النهر الا بمقدار طفيف للغاية .

وايت : فهل تمتزم المضى فى دراستك الى أبعد من ذلك ، أو أن لديك مشروعات أخرى فى المستقبل ؟

تويشي : لدى مشروعات أخرى ، نعم . . . كل الاشياء التى لم أنجزها لأننى كنت مشغولا بهذا الكتاب الطول خلال تلك الاعوام . لقد أعددت بعض دراسات عن التاريخ اليونانى والتاريخ الرومانى ، وكنت قد وضعت خططها قبل الحرب العالمية الاولى ، وسأنهى منها الآن . وهناك ، مرة أخرى ، كتابى «دراسة للتاريخ» ، كما أن ازدياد الاهتمام العام بنظرته العريضة الى الشئون البشرية قد أثار مناقشة ولقاء كبيرين ،

وآمل أن تتضاعف المناقشة وتتضاعف النقد ، وسيدفعني هذا إلى إعادة النظر في أفكارى (١) . ويحتمل أن يظهر هذا فى شكل كتاب جديد .

وايت : يبدو لي أن إيمانك بالمستقبل يكذب من وصفوك بآلك بيلر بصير محتوم .

تويني : كريستوفر ، أثنى أومن بأن الحياة حركة . إنها حركة ، وإن لم تتحرك منيت بالفشل . واعتقد أن هذا يوسع تماما فى حالة الرجال الإيجابيين . وأنا على يقين من أنه ينطبق على أناس مثلك ومثلى — على الأساتذة ، والفلاسفة ، والمؤرخين . علينا ، شأننا شأن الآخرين ، أن نستغل — بأفضل صورة ممكنة — الوقت والطاقة اللتين نملكهما فى حياتنا ، والحياة قصيرة .

وخلال تلك الفترة الطويلة التى استغرقها تأليف كتابي كنت أسمع ، بإذنى عقل ، سطورا لشاعر انجليزى . كان يكتب منذ ثلاثمائة عام مضت ، غير أن كلماته حية اليوم مثلما كانت حية بالأمس . انها لبيات أندرو مارفيل Andrew Marvell التى يقول فيها :

بيه أنى أسمع دائما من ورائي

عربة الزمن المجتعة تدنو سريعا ..

---

(١) وأدى هذا إلى ظهور مجلد اضافته تويني إلى اجزاء « دراسة للتاريخ » — والمجلد الأخير يحمل عنوان « إعادة نظر » Reconsiderations ولد طبع في عام ١٩٦١ .  
( المخرج )

## الجنس البشرى ، ذلك البغل الذى لا يقهر \*

~~~~~

لا جلوى من أن يصبح المرء كاتباً ما لم يكن *en rapport* (١) مع العالم الذى يعيش فيه . ومن الممكن استخدام القلم فى أغراض مختلفة : كان يستخدم فى تأييد الاتجاهات السائدة ، أو فى معارضة . ولكن ، إذا أراد الكاتب النجاح فى تحقيق غرضه ( إما كان ) فى الفترة التى يعيش فيها ، فلا بد أن تصل الكلمة المكتوبة الى عقول معاصريه ، وتمس مشاعرهم . فإذا فشل الكاتب فى ذلك فكله قد أودع أصول كتاباته فى إحدى الخزائن ، آملاً أن يجيء اليوم الذى يظهر فيه جييل يحتفل بكلماته . وفى مقدورنا أن نذكر كتاباً تعرضوا لهذا المصير - ومن الأمثلة الشهيرة : إكسأتون ، وابن خلدون ، وروجر بيكون ، وفيشو ، ومندل . ولكنه مصير محزن ، وأسوأ من هذا أن الكاتب يفشل - بمقتضاه - فى تحقيق رسالته ، أنه يفشل فى التأثير على معاصريه فى عصر يتعرض فيه مصير الجنس البشرى لنفسه للخطر .

ولكن نشعر أننا نعيش اليوم فى عصر من هذا الطراز . ويجمع على صحة هذه القضية أناس يختلفون حول أى نقاط أخرى تقريباً . وليس من شك فى أن كل جيل يميل الى الانحسار بأن تاريخ البشرية . وصل ، فى عصره ، الى حته . هذا السراب واحد من مجموعة كبيرة صنعها اهتمامنا المسرف بلواتنا ، علينا أن نبحث فى أمر هذا السراب .

---

نشر هذا المقال لأول مرة بالمحق الأدبى لصحيفة التايمز البريطانية ، وذلك ضمن مجموعة مقالات طمد من الكتاب تحت عنوان «حدود التحكم» *Limits of Control* . والهدف من هذه المجموعة توسيع مولى الكتاب من ظروف العصر الحديث . تم نشرت هذه المقالات ، مجموعة ، فى شهر يونيو من عام ١٩٦١ تحت عنوان « حرة الكاتب » *The Writer's Dilemma* . هذا ، وقد صدر مقال توينبى هذه المجموعة .

(١) متفاعلاً من الفرنسية . - للعلل الاحتفاظ ، داخل المقال المترجم ، بالألف الخصى .  
كتبها توينبى بغير اللغة الإنجليزية ، وذلك لصيانة روح النص .  
( المترجم )

«ويفرضه». ولكن ، بالرغم من التسليم بهذه الحقيقة ، فإننا قد نتفق على أن العصر الحاضر هو على كل حال عصر خطير بصورة غير معتادة ، وأنه - أيضا - عصر تغير سريع غير معتاد . ان كتاب العصر الراهن أخذوا ينتقلون ، خلال حياتهم الواحدة ، من عصر الى عصر آخر يبدو أن يختلف جدا عن سابقه .

وهناك ، بوجه خاص ، اختراعاتان يؤثران على المؤلفين لأنهما يؤثران على كل انسان . لقد بدأنا نتعلم كيف نؤثر على الكائنات البشرية نفسيا وجسديا ، ولقد استتبطننا بواعث جديدة لكي يؤثر كل منا على الآخر بهذه الطريقة .

ان الاماليب الجديدة الخاصة بتشكيل الناس باتت معروفة بصورة منفردة . ففي السوق الآن اماليب سيكلوجية ، و«عصيل للمخ» وعقاقير ، وعلماء الاحياء يتحدثون عن احتمال معالجة البشر لأماليب الطبيعة في التناسل - ويبدو محتملا في هذا الميدان كله ، أننا ما زلنا عند المرحلة الاولى فقط من غزو الانسان لعالم جديد ، وواضح أن من الممكن استغلال هذه الطاقة الجديدة الهائلة اما للخير أو للشر والبواعث الجديدة التي تدفعنا الى استغلال هذه الطاقة ، واعتبار هذا الاستغلال أمرا مسلما ، تتبع كلها من تضخم هائل مفاجئ ، في حجم المسائل البشرية اذا ما قيسست بحجمنا السيكلوجي والمادي ، نحن أفراد الجنس البشري .

صحيح أننا نجحنا في مضاعفة حجمنا ، فلنقل بمقدار ربع ذراع ، فالعلوم الطبية ضاعفت الطول العادي لحياة بالغة مثمرة في عملها، وربما ضاعفت أيضا من كمية الطاقة الذهنية والجسدية (١) per diem ، وقد بات هذا واضحا في ثلث الجنس البشري ، الذي أصبح مزدهرا الآن . وقد نأمل ، ونتوقع ، أن الثلثين اللذين ما زالا خاملين سيحصلان ، في النهاية ، على الثمار نفسها من التقدم العلمي . ومع ذلك ، فإن هذه الزيادة الحالية في مقدرة الكائن البشري الفرد هي زيادة متواضعة في أقصى صورها ، أما التضخم ، الراهن ، في مجال الشؤون البشرية فأكبر حجما ، وذلك بصورة غير متناسبة . أن ضخامة الشؤون البشرية تتضاعف بصورة غير منقطعة في ثلاثة مجالات على الأقل . ان عدد سكان العالم أخذ في الازدياد . وعدد الأجهزة المخصصة لكل نسمة ، وقدره هذه الأجهزة ، أخذان في الازدياد أيضا ، كما أن قدرة هذا الجهاز على

(١) اليومية ( عن الالمانية ) .



المتدمير - في حالة تطبيقه في الحرب - آخذة في التضاعف كذلك - هذه الزيادة المتفجرة الثلاث ، التي ضاعفت من حجم العشون البشرية ، تفسر حوافز قوية تدفعنا الى استخدام قدرتنا الجديدة على تشكيل الكائنات البشرية .

مثال هذا أن ضخامة عدد السكان تلزمنا بأن نحافظ على استمرار التعامل بمعناه العريض ، أي بتنظيم الروابط التي تربط بين الكائنات البشرية بعضها مع بعض . وفي المجتمع المكتظ بالسكان نجد أن المهام الخاصة بخدمة الناس ورعايتهم في غلوهم ورواحهم بين مساكنهم وأماكن عملهم تتطلب تنظيماً دقيقاً سريع الحركة ، أي تتطلب تنظيماً دكتاتورياً . ومن الطبيعي أن « رجل المنظمات » ( بالمعنى المشهور الآن ، والذي يحاول الحط من شأن الرجل الحديث ) أسلم قيادة لهذه العمليات التنظيمية من الإنسان ذي النزعة الفردية ، كشبيهه بالماز ، أو البفل ، أو الجمل . إن منظمتنا في حاجة إلى نوع من النحل البشري أو النحال البشرية . فإذا كنا نصل الآن إلى أسلوب نحل به النحل إلى نحال أصبح لدينا دافع قوي لتطبيق هذا الأسلوب الجديد تطبيقاً شاملاً .

وحجم الجهاز ، وقدرته ، يتطلبان أيضاً تنظيماً دقيقاً دكتاتورياً لكي يعمل هذا الجهاز . وهو جهاز خطير ، حتى حين يستغل لأغراض سلمية بناءة . فلقد كان لمن ادخل الآلات التي تسر بالطاقة في المصانع والسكك الحديدية والطرق هو تطبيق نظام عسكري في الوظائف المدنية وواضح أن ملاحظ الآلة المدوب أحسن تدريب أو قائد السيارة الماهر . أو محرك الآلة ، أو عامل الآلة ، أقل خطراً على أمن الجمهور من صاحب النزوات الذي لا يعمل إلا يوحى من إرادته وحده . لا مكان في عصر الآلة لأبطال مثل أخيل الإسكندر الأكبر ، وشارل الثاني عشر (السويد) فضلاً على عدم وجود مكان لهم في عصر الذرة الذي سببته قروح عصر الآلة . إن مديري المصانع ، ورجال السكك الحديدية ، ورجال شرطة المرور ، في حاجة إلى أشخاص من طراز الفرق البروسية التي صقلها فريدريك الأكبر . ومن نافذة القول أن لدينا بعضاً يحفزنا إلى التحكم في أنفسنا بحيث لا نستخدم الأسلحة الذرية . والرغبة في عدم وضع حد لحياة السلالة البشرية ، بما فيها أنفسنا ، تكاد تكون أقوى باث لدى الكائنات البشرية . وربما كنا أقرب إلى الصواب إذا ذكرنا أنفسنا بأننا إذا نجحنا في تخليص العالم من خطر الحرب الذرية، فإن هذا لن يقي العالم من العبث البشري . لن يقيه لأننا سنظل نعيش

فى العصر اللدى ، والطاقة البشرية - حتى حين تستغل بصورة سلمية  
بشاة - أشد خطرا من أى مصدر للطاقة الطبيعية طرقه إنسان من قبل .

ذلكم ، إذن ، وضعنا إراهن- أن الكائنات البشرية تبدو اليوم قرمة  
بسبب المجتمع البشرى ، وبسبب نتاج المجتمع العقلاق ، هذا ما يحدث  
لنا الآن على كل حال . فإذا أردنا « النجاة أولا » صارت لدينا بواعث  
قوية للتشدد فى وضع هؤلاء الأقزام الجموحين تحت رحمة المجتمع ،  
وذلك بتشكيلهم - هل يجب علينا أن نتصرف بوحى من هذه البواعث ؟  
أو أنه يجب علينا أن نقاومها وبذا نعرض نفوسنا للخطر ؟

ثمة شىء يبدو محتملا : مستطوى المقاومة على خطوة إذا مارسها  
الكتاب . إن مهمة الكاتب تتلخص فى اكتشاف الأفكار ، ونشرها . وكل  
الأراء الجديدة تبدو خطيرة فى نظر معظم الناس ، وبعض الأراء الجديدة  
خطيرة بالفعل بالرغم من أنها قد تكون ( أو لا تكون ) مثيرة ومثمرة فى  
الوقت نفسه . وفى الأزمنة والأمكنة التى شمر فيها الناس بأنهم يعيشون  
فى عالم خطير تعرض « للتفكير الخطير » للنبد ، والتعريم والاضطهاد .  
ومن الأمثلة القديمة على هذا : الدول التى أرادت أن تكون عالمية ، والتى  
أتاحت لبعض المجتمعات مهلة ، وذلك بفرض السلام والنظام بعد أن كان  
المجتمع قد أوشك أن يدمر نفسه بنفسه بسبب الحروب والثورات  
المستمرة . ويقال أن مؤسس الدولة العالمية الصينية أحرق كتب المدرسة  
الفلسفية التى ازدهرت فى « عصر الملوك المتحاربة » السابق . ويقال  
أيضا أن أحد أباطرة الرومان الأول كاد شخصيا اخترع زجاجا لا يتشم  
بأن سفك دمه وحطم مواصفاته . وزعموا أن الإمبراطور أراد بهله  
أنخطوة أن يقى العالم شر قلاقل اجتماعية جديدة ، وهى القلاقل التى  
قد نشبت إذا طرد صانعو الزجاج العادى من عملهم ، وانتشرت البطالة  
نتيجة لذلك . فإذا كان هناك شك فى صحة هاتين القصتين ، فانهما  
ben trovate (١) ولسمما لشكك فى صحة اضطهاد الحكومة  
الرومانية للمسيحيين الذين رفضوا أن يلقوا بذرة من عطر فى  
هيكल القيصر . رأت الحكومة أن هذا الرفض من قبيل التوبيخ بالمنعم  
المستهتر ، لنظام على استتب بعد جهد وكد ، كان الشهداء المسيحيون  
مثل أخيل أو شارل .

الثانى عشر : قبلة مضادة . كانوا يضحكون بسلامة المجموع فى

(١) تطوبان على معنى كبر . > من الإيطالية ؟ m

سبيل نزلتهم هم . ان مجتمعا يفتقر الى الامان لا يستطيع احتمال اوراق .  
« الجوكر » هذه ، الموجودة وسط حزمة عادية من اوراق اللعب .

والبايث وراء عملية التشكيل واضح ، بل انه يدمر الى الاحترام  
ومع ذلك فان رصيد الجنس البشرى الاكبر كائن في الطاقة الابدائية ،  
تلك الطاقة التي تتجسد وتفور في افراد من الرجال والنساء فاذا عرفنا  
كيف نطفيء هذه الشرارة المقدسة ، واذا استفدنا من علمنا الجديد  
الاستفادة الكاملة ، فاننا ستقضي على الحياة الانسانية بالركود ، وربما  
قضيها عليها بالانتكاس بعد ذلك . وليس من شك في ان هذا الوضع  
ليس سيئا سواء ابادت الجنس البشرى ، اذ طالما ان هنالك حياة فهناك  
امل . واعتقد اننا قد لانخلق عملية التشكيل الى الحد الذي يتعلمهم  
مناهضة اعمال الرجل البوليسى او مناهضة اعمال الشيطان . ومع ذلك  
فمن الصعب ان نفكر - بعد مسألة الابدان - في مصير نجره على انفسنا  
اسوا من تحولنا الى نمل البشرية او نمل بشرى .

ومن حسن الحظ ان الادلة الموجودة توحى بان المسألة لن تستعنى.  
اختيار احد امرين : اما كل شيء او لا شيء فالى الان والحياة تتقدم عن  
طريق صيغ العمليات بعبقيرة آليسة لكي تتحرر بذلك الطاقات  
الباقية . وفي الكائن البشرى نجد ان من بين العناصر التي تحفظ له بشريته  
- اى تجعله يفكر ويتخذ قرارات - ان قلبه ورثته سيعملون بطريقة آلية .  
ولو كان مضطرا الى التفكير في كل ضربة من ضربات قلبه وكل زفرة - ،  
والى تنفيذ هذه العمليات اراديا ، فلن يبقى له وقت او طاقة ينقها  
في اهتمامات اسمى . ان نظام التأقلم الذى يعمل في طلة قلب شيلر  
ورثناه قد يختلف (١) toto caelo من نظام الحرية الذى تعمل في ظله  
مشامره ، واكتاره ورغباه ومع ذلك يستطيع هذان النظامان المتعارضان  
ان يعيشا معا داخل الشخص الواحد ، وهذا مايفعلانه حقا ، واكثر من  
هذا ان افكار الشخص ومشامره وقدرته على الاختيار لم تكن لتحرور .  
ولو جزئيا - كما هي متحررة الآن ، لولا ان ضربات قلبه ، ونفسه ،  
اعتادت على التردد دون ان يضطر الى الالتفات اليها .

نفهم من هذا ان مواطنى العالم ، بما فيهم الكتاب ، يستطيعون .  
حتى في مصرنا الخطير ، عصر الذرة - ان يتمتعوا بالحرية في بعض وجوه  
نشاطهم - وربما تحوروا في هذه الميادين اكثر من اى وقت مضى -  
بالرغم من ان وجوها اخرى لنشاطهم قد تنظم بطريقة دقيقة مربكة .

(١) الى حد حال . ( عن اللاتينية ) .

وأننا على يقين من أن المواطن ، في مجتمع المستقبل العالى الذى تسيره  
 «الدرة» سيكون من واجبه الوقوف في الطوابير في صبر - وإبداء احترام  
 «دينى» لاشترات المرور بالحرماء ، وعليه أن يكون حريصا ودقيقا وعاملا  
 يوحى من ضميره وهو يحضر استعلاات رسمية معقدة لا حصر لها . وفي  
 سبلدين كهذه سيطلب المسئولون من المواطن أن يكون كالنساء في أطاعته  
 للنظام ، وسيكون هذا المطلب مشروعا لأن «الإبادة» قد تحمل محل العامة  
 في هذه المجالات . بل علينا أن نتوقع أن يقتحم التنظيم الرسمي  
 للحياة ، يقتحم مخايبه «دنية» ظللنا نعتبرها حرما مقدسا للحرية الفردية .  
 هل المواطن (أ) أو المواطنة (ب) لائق - من الناحية التناسلية - لانجاب  
 الأطفال ؟ فإذا جاء الرد بالإيجاب - في ذلك الجزء من الاستشارة المحفوظة  
 للاستخدام الرسمي والذى يملأ بطريقة الاختزال - كان السؤال التالى :  
 ما عدد الأطفال الذين يرخس للمستتر (أ) وصن (ب) بانجابهم ؟ قد  
 يبدو هذا القدر من التنظيم الرسمي الحكومى أمرا غير محتمل ، غير أن  
 الأمر قد يقتضيه . والنقاط التى يجب أن نضعها في الاعتبار هى أنه  
 ستظل هناك مجالات للحرية بالرغم من هذا ، وأنه كلما تعلم علينا أن  
 نظل أحرارا في ميادين أخرى - فأحرى بنا أن نمارس حريتنا - بقوة  
 وبصورة إبداعية - في الميادين التى ستظل مفتوحة للإبداع الحر .

وفي عالم كهذا ، يبدو أن الكتاب وغيرهم من أصحاب الأرواح  
 الإبداعية بما فيهم المهندسون والتدريسون ، ومصمموا الآلات ، والأنبياء،  
 والنحاتون «Und rowalter» (١) سيواجهون قدرا من الفرس ،  
 والمسئوليات ، والمخاطر ، لم يسبق له مثيل واذ تنحصر الحرية من  
 الاقتصاد والسياسة ، ستتركز في الدين وفي الفنون . ولا اعتقد أن  
 الحرية مستطلىة ، مهما بلغ من تقدم علم التشكيل والتأقلم ، ذلك  
 لأنى أؤمن بأن الإنسان بقل لا يقهر ، وجمل لا يقهر ، وأن خبراء التشكيل  
 قد يحققون أبشع افراضهم غير أنهم سيفشلون في تحويل الإنسان الى  
 شاة مائة في المائة أو نملة مائة في المائة . ولكن يبدو أن الكتاب في مثل  
 هذا العالم الجديد سيدفعون ثمن الحرية في صورة حرب دائمة مع  
 اللجان .

(١) وحلم جرا . ( من الألمانية ) .

وستكون هذه الحرب خطرا على الكتاب ، لان لجان العصر الذرى، هذه ستكون حلبة الرأى ، وسيطرة ، تفرض مقاييسها فيما تراه هي صائبا وسليما . وستضمر بانها حامية حتى الجنس البشرى ضد الخطر الدائم : خطر التدمير الذاتى الجماعى . وجميع اللجان ، فى جميع الأزمنة ، ادنى - من الناحية الاخلاقية والفكرية - من المستوى المتعاد للكانات البشرية المشتركة فيها . وحين تكون أعضاء فى لجان فاننا نفوس الى أعماق لم يكن يعق لنا أن نفوس اليها فى ظل قدراتنا الشخصية . وليس من شك فى أن اللجان شر لابد منه . ومع ذلك ، فهى وكالات منافية للزرعة الانسانية ، ولذا وجب مقاومتها بمقدار . وهذا الواجب الذى يحتم مقاومة استبداد اللجان سيلقى - بصفة خاصة - على عاتق العمال الابداعيين فى عالم العصر الذرى . وهناك حقائق لا يمكن انكارها ، وهى تبرر هذه المقاومة . لم تظهر قط لجنة استطاعت أن تنظم قصيدة ، أو تؤلف «سوناتا» ، أو ترسم صورة ، أو تصمم مبنى أو قنطرة أو سفينة . وحين كانت هذه الاعمال تتم لم تكن تتم على أيدي لجان ، وانما على أيدي كائنات بشرية تصرف كالفراذ ، وتمارس الحرية الفردية التى تعتبر المصدر الوحيد للإبداع البشرى .

وفى العصر الذرى سيضطر العامل المبدع الى القتال ذودا عن حريته، حتى لو كلفه هذا حياته . وسيضطر الى هذا لا لكى يحقق الحرية لنفسه فقط ، وانما لكى يسطى منها جرعات ملهمة لجمهور يسود أنه قطع فى التشكيل شوطا بعيدا ولا مناس من أن يرى المستولون . فى هذا النشاط الموقظ ، ضربا من التخريب . وسيكون من بين مهام العامل المبدع فى العصر القادم أن يقنع السلطات بانها ستعظم المرافها الشريفة اذا هى أصرت على تشكيل جميع سكان العالم مائة فى المائة - انها ستقضى على انسانية الطبيعة البشرية وبذا ستضع خاتمة للجنس البشرى تماما مثل المجنون الذى أطلق عنصر الابادة الذرية من عقاله . ومن الممكن أن يفقد الجنس البشرى انسانيته ويظل مجرد جسد .

ولكن يكون من السهل كسب السلطات . وسيضطر العامل المبدع الى أن يقتنمهم بأنه بالرغم من أن وظيفته تبدو - فى طاهرها - معادية

«وظيفتهم ، فان احساسه بالمسئولية لا يقل صدقا عن احساسهم . وفي  
العصر الذرى ستتخلص رسالة الكاتب في أن يهب نفسه لوظيفة ذبابة  
الحيل . ولكن ، لن يكفى اخلاصه لهذه المهمة ودأبه فيها . ان الكاتب ، من  
طراز ذبابة الحيل ، سيسحق ، وسيسحق في الحال اذا هو فشل في كسب  
تسامح المسئولين ، ومعنى هذا أنه مضطر - في علاقاته العامة - الى أن  
يكون على حذر في جبهتين . سيكون أمام كاتب العصر الذرى رقباء يجب  
أن يفكر فيهم ، الى جانب القراء غير الرسميين ، لذا عليه أن يضاعف - على  
الأقل - من اليقظة والحذر اللذين مارسهما أسلافه . وهذا المطلب كبير ،  
ولكنى أعتقد أنه سيواجهه . ومن مصلحة الجميع أن يواجهه ، ذلك أن  
العالم لا يستعمل رؤية كتابه وقد طردوا من عملهم .»

## لقاءات بين المدنيات (١)

### - ١ -

أى حدث سينتقيه مؤرخو المستقبل ، بعد قرون عدة ، ويعتبرونه أبرز حدث فى عصرنا ، وذلك عندما يتطلعون الى الوراء ، الى النصف الأول من القرن العشرين ، محاولين التعرف على وجوه نشاطه وتجاربه على ضوء المقياس العادل الذى يكشف عنه البعد الزمنى أحيانا ؟ يخيّل الى أنهم لن يختاروا أى حدث من هذه الأحداث السياسية والاقتصادية ذات الطابع المثير أو المأسوى أو المدمر ، والتي تحتل العناوين الرئيسية فى صحفنا ومكان الصدارة فى أذهاننا . لن يختاروا الحروب ، أو الثورات ، أو المذابح ، أو عمليات القتل ، أو المجاعات ، أو التلخّطة ، أو دورات الكساد أو الانتعاش ، وإنما سينتقون حدثا لا نعيه نحن بصورة كاملة ، حدثا من الصعب أن نضع منه خبرا للصفحة الأولى . ان الأشياء التى تنجح فى خلق عناوين رئيسية إنما تجتذب انتباهنا لأنها على صفحة مجرى الحياة ، وهى تصرف أنظارنا عن الحركات التى هى أكثر بطننا ، الحركات غير المسمومة ، التى لا يمكن تقديرها ، تلك الحركات التى تؤدى دورها تحت السطح ، وتنفذ الى الأعماق . ولكن ، الواقع ان هذه الحركات التى هى أكثر عمقا وبطنا هى التى تصنع التاريخ فى النهاية ، وهى التى تبرز جيّدا عند التطلع الى الوراء ، بعد أن تكون الحوادث المثيرة العابرة قد تضاءلت - بعضى الوقت - الى نسبها الحقيقية .

والمنظور الذهني ، شأنه شأن المنظور البصري ، لا يتضح بجسالة إلا حين يكون المراقب قد وضع بينه وبين الجسم مسافة معينة . مثال هذا: أنك عندما تنقل ، بطريق الجو ، من مدينة صولت لبيك Salt Lake

---

(١) *Encounters Between Civilizations* . وهو المقال الحادى عشر فى مجموعة المقالات التى ظهرت عام ١٩٤٦ فى مجلد واحد تحت عنوان «المدنية تواجه الانحلال» *Civilization On Trial* ، لم اعيد طبعا عام ١٩٤٦ ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٧ .

لدى دنفر Denver فإن المنظر المقرب جداً للروكينز Rockies ليس أفضل منظر لها . وعندما تكون فوق الجبال بالفعل فانك لا تشاهد سوى حشد من القسم ، والأطراف ، والأخاديد ، والصخور الصلدة ، ولن تنفخ الجبال أمامك بنظامها الرائع ، سلسلة وراء سلسلة ، الا عندما تكون قد خلقتها وراءك حينئذ فقط ترى صورة الروكينز نفسها .

واذ أضح هذه الصورة فى ذهنى ، اعتقد أن مؤرخى المستقبل سيمتطيون رؤية عصرنا فى نسب أفضل من النعيب التى نستطيع أن نراه عليها الآن . ترى ، ما الذى سيقولونه عنه ؟

أعتقد أن مؤرخى المستقبل سيقولون ان الحدث العظيم الذى شهدته القرن العشرين هو : أثر المدنية الغربية فى جميع المجتمعات الحية الأخرى. التى كانت موجودة فى عالم القرن العشرين . وسيقولون عن هذا التأثير انه بلغ من قوته وسعة انتشاره أنه قلب حياة كل شعباياه رأساً على عقب ، وأخرج ما فى باطنها ، وأثر على سلوك ، ونظرة ، ومشاعر ، ومعتقدات الرجال والنساء والأطفال بصورة مباشرة ، ومس فى أدواح البشر أوتاراً لا تمسها القوى المادية الخارجية وحسب ، مهما بلغ خطها من الضخامة والبشاعة . وانى أوقن بأن هذا هو ما سيقوله مؤرخون يتطلعون الى عصرنا ولا تفصلهم عنا سوى مساحة زمنية قصيرة ، كأن يكونوا فى عام ٢٠٤٧ ميلادية .

لما الذى سيقوله مؤرخو عام ٣٠٤٧ ميلادية ؟ لو كنا نعيش فى القرن الماضى ، لكان على أن اعتذر عن هذا الغرور الصارخ الذى يجعلنى أنظأهم بالتكهـن بشيء قد يقال أو يحدث فى هذا التاريخ البعيد . كانت الألف ومائة العام فترة زمنية طويلة فى نظر الناس اعتقدوا أن العالم خلق عام ٤٠٠٤ قبل الميلاد . ولكنى لست بحاجة اليوم الى الاعتذار ، فمنذ عصر أجداد آبائنا طرأ على ميزاننا الزمنى انقلاب كبير ، لدرجة أننى اذا حاولت أن أرسم على هذه الصفحات صورة لتاريخ هذا الكوكب منذ ميلاده ، فلن أتمكن من المجردة أن تلصق فى صورتى تلك الفترة. الوجيزة ، فترة الألف ومائة العام .

لذا قد يقول مؤرخو عام ٣٠٤٧ ميلادية أشياء أطرف من الاشياء التى سيقولها مؤرخو عام ٢٠٤٧ ميلادية ، ذلك لانهم قد يلبون حينئذ بأطراف أكثر لتلك القصة التى يبدو أننا اليوم عند فصولها الاولى . واعتقد أن مؤرخى عام ٣٠٤٧ ميلادية سيمهتون - أكثر ما يهتمون - بالمؤثرات المضادة الهائلة التى سيكون الضحايا قد أحدثوها حينئذ فى



حياة المعتدي • لغى عام ٣٠٤٧ ميلادية قد تكون مدينتنا الغربية - كما عرفناها وهرقها أسلافنا الغربيون في الالف والمائتين أو الثلاثمائة العام الأخيرة ، منذ خروجها من المصور المظلمة - قد تكون تحولت الى صورة غير معهودة تماما ، وذلك بفعل مؤثرات مضادة تنبع من عوامل اجنبية نحاول نحن اليوم اختصارها لمؤثراتنا - مستشع المؤثرات الجديدة من المسيحية الارثوذكسية ، ومن الاسلام ، ومن الهندوكية ، ومن الشرق الاقصى •

وبعلول عام ٤٠٤٧ ميلادية ، قد يبدو ذلك التمييز - الصارخ اليوم - بين المدنية الغربية كمعتمد والمدنيات الاخرى كضحايا للاعتداء ، قد يبدو ذلك التمييز قافيا • فعندما يقبض اشعاع المؤثرات اشعاع مضاد لمؤثرات اخرى ، تبرز تجربة ضخمة متفردة ، تجربة هرقها الجنس البشرى بأكمله : تفلخص هذه التجربة في أن ميراثك الاجتماعي المحدود يتحرق اربا اربا نتيجة لارتطامه بالموايرث المحدودة للمدنيات الاخرى ، ثم تجد حياة جديدة - حياة جديدة مشتركة - تبرز من الحطام • وسيقول مؤرخو ٤٠٤٧ ميلادية ان أثر المدنية الغربية في المدنيات المعاصرة في النصف الثاني من الالف الثانية للعصر المسيحي ، كان أكبر حدث غير التاريخ في ذلك العصر ، ذلك لانه كان الخطوة الاولى نحو توحيد الجنس البشرى داخل مجتمع واحد • وقد تبدو وحدة الجنس البشرى ، عام ٤٠٤٧ ، شرطا من الشروط اللازم توافرها في الحياة الانسانية - مجرد جزء من نظام الطبيعة - وقد يقتضى الأمر أن يجهدوا خيالهم لكي يتصوروا النظرة الاقليمية المحدودة لرواد المدنية خلال ستة آلاف العام الاول من وجود هذه المدنية • كانت عاصمة الاثينيين لا تبعد عن اقصى حدود بلدهم أكثر عن مسيرة يوم ، وكان معاصروهم الامريكيون - أو معاصروهم الحقيقيون - يعيشون في بلد تستطيع أن تعبره بالطائرة من بحر الى بحر في مدى ست عشرة ساعة ، ولكن كيف استطاعوا أن يتصرفوا ( وقد فعلوا ذلك ) وكان بلدهم الصغير هو الكون ؟

لماذا عن مؤرخي عام ٥٠٤٧ ميلادية ؟ يخيل الى أن مؤرخي عام ٥٠٤٧ سيلولون ان أهمية هذا التوحيد الاجتماعي للجنس البشرى لم تكن تكن في ميدان الاساليب الصناعية والاقتصاد ، ولا في مجال الحرب والسياسة ، وانما في مجال الدين •

لماذا انما يهتم بهذه التكهات الخاصة بالصورة التي سيبدو فيها تاريخ عصرنا ، في نظر اناس يتطلعون اليه بمد مضي آلاف الاعوام ؟ لان لدينه حوالى ستة آلاف سنة من التاريخ نستطيع ان نحكم على ضوئها ، ستة آلاف مسنة منذ أن ظهرت - لأول مرة - انواع المجتمعات البشرية التي نسميها « مدنيات » .

ان ستة آلاف سنة تكاد تكون فترة وجيزة للغاية اذا ما قورنت بعصر الجنس البشرى ، بعصر الثدييات ، بعصر الحياة على الارض ، بعصر نظام الكواكب الدائرة حول الشمس ، والشمس نفسها ، وحشد النجوم التي لا تثير شمسنا عضوا بارزا فيها ، ومع ذلك ، فبالرغم من قصر ستة آلاف السنة الاخيرة ، فانها تقدم لنا أمثلة للظاهرة التي ندرسها الآن - أمثلة على لقاءات تمت بين مدنيات مختلفة . وليمّا يتعلق ببعض هذه الحالات ، نجد اننا نمتنع اليوم بذلك الامتياز الذي سيتمتع به مؤرخو عام ٣٠٤٧ أو عام ٤٠٤٧ ميلادية عندما يتطلعون الى عصرنا - ونقصد اننا نعرف قصة هذه الحالات كاملة . لقد كان بعض هذه اللقاءات الماضية في ذهنى . وأنا أتكهن بالنتيجة التي سيسفر عنها لقاءنا بمعاصرنا .

خذ تاريخ احدي المدنيات السالفة ، المدنية الاغريقية - الرومانية . وانظر كيف تبدو لنا هذه المدنية داخل المنظور البعيد الذي نستطيع ان نراها فيه اليوم :

كان من نتيجة فتوحات الاسكندر الاكبر والرومان ، أن أرسلت المدنية الاغريقية الرومانية أشعتها عبر معظم اجزاء العالم القديم وتغلغلت هذه الأشعة الى الهند ، الى الجزر البريطانية ، بل وصلت الى الصين . ودول اسكندناوه . أما المدنيات الوحيدة التي ظلت في ذلك المعين بمنأى عن هذا التأثير فهي مدنيات أمريكا الوسطى وبيرو ، وهكذا نرى أن التوسع الذي أحرزته المدنية الاغريقية الرومانية يمكن أن يقارن بمدنيتنا من حيث مداها وقوتها . وعندما نتطلع الى الوراء ، الى تاريخ العالم الاغريقى الرومانى خلال القرون الأربعة الاخيرة قبل الميلاد ، لا تبرز أمامنا سوى هذه الحركة الضخمة من التوسع والتفلسل . أما الحروب ، والتورات ، والازمات الاقتصادية ، التي عشت بسطح التاريخ الاغريقى الرومانى خسلا تلك القرون واحتلت الشطر الأكبر من تفكير الرجال والنساء الذين كانوا يجاهدون لكي يعيشوا وسط هذه الاحداث ، فلانتمى لنا الشيء الكثير بالقياس الى هذه الموجة الهائلة من النفوذ الحضارى .

للاغريق ، والتي اكتسحت آسيا الصغرى ، وسورية ، ومصر ، وبابل ،  
وبلاد الفرس ، والهند ، والصين .

ولكن ، لماذا نهتم اليوم بأثر الاغريق والرومان في هذه المدن  
الآخري ؟ ان سبب اهتمامنا بظهور هجوم مضاد لهذه المدن الآخري ،  
موجه نحو العالم الاغريقي الروماني .

ولقد تم شن جزء من هذا الهجوم المضاد بالاسلوب الذي تم به  
الهجوم الاغريقي الروماني الاول : اي بقوة السلاح . غير اننا لا نكتفي  
اليوم كثيرا بذلك الاصل اليهودي ، اليائس ، الرامي الى مقاومة الاستعمار  
الاغريقي والروماني في فلسطين بقوة السلاح ، ولا نكتفي بتجاع ذلك  
الهجوم المضاد الذي شنه الباريتون وخلفاؤه من الفرس في ظل الاسرة  
السامانية شرقى الفرات ، ولا نهتم بالانتصارات المثيرة التي أحرزها  
العرب المسلمون الاول الذين حرروا الشرق الاوسط - في القرن السابع  
للعصر المسيحي - من الحكم الاغريقي الروماني في أعوام قصار قصر  
الأعوام التي هزم خلالها الاسكندر الأكبر هذه المنطقة منذ ألف عام .

ولكن ، كان هناك هجوم مضاد آخر ، هجوم سلمي ، وحي . هذا  
الهجوم لم يضرب ويفزو القلاع والمقاطعات وانما القلوب والحقول . وتم  
هذا الهجوم على يد المبشرين بالديانات الجديدة التي ظهرت في العوالم  
التي غزتها المدنية الاغريقية الرومانية بالفترة واكتسحتها . وكان للقديس  
بطرس أمير هذه الرسائل ، وكانت نقطة انطلاق أنتيوخ ، ومنها طوى  
في زحفه الجريء الى مقدونيا ، واليونان ، وروما ، والتي عجز الملك  
انتيوخوس يوما في الوصول اليها . وكانت هذه الديانات تختلف في  
طابعها عن الديانة المحلية للعالم الاغريقي الروماني . كان لآلهة الوثنية  
الاغريقية الرومانية جذور ضاربة في مجتمعاتهم الخاصة ، كانوا أصحاب  
طابع محلي وسياسي : أثين بوليس ، فورتونا برانيسينا ، ديا روما .  
أما آلهة الديانات الجديدة التي شرعت في هذا الهجوم السلمي المضاد  
الموجه الى قلوب الاغريق والرومان ، وعقولهم ، فارتفعوا عن مستوى  
نشاطهم المحلية الاول . لقد أصبحوا آلهة عالميين ، يحملون رسالة الخلاص  
للجنس البشري كافة ، لليهود وغير اليهود ، للأساقوفيين والاغريق . أو ،  
لنتكلم عن هذا الحدث التاريخي الكبير بأملوب الدين ، لنقول ان الرب  
الواحد الحق انتهن هذه الفرصة التي تفتحت فيها عقول الناس بفعل  
الارتطام والانهيال للذين تعرضت لهما مدنياتهم المحلية القديمة ، لقد  
استغل هذه التجربة المؤلمة لكي يضئ هذه الاذهان ، المفتوحة مؤقتا ،

بصورة خطيبته وغايته ، صورة أكمل وأصدق من أي صورة استطاعوا استقباليها من قبل .

خذ كلمتي « يسوع المسيح » Jesus Christ ان لهاتين الكلمتين أهمية كبرى بالنسبة لنسا ، وقد نقامر ونتكهن بأن أهميتهما للجنس البشري مستقل لألفي أو ثلاثة آلاف سنة مقبلة . ان هاتين الكلمتين تشهدان على ذلك اللقاء بين مدنية الغريقية رومانية ومدنية سورية ، وانجب اللقاء الديانة المسيحية . ان Jesus هو ضمير الغائب المفرد لفعل سامي . أما Christ فهي الـ passive participle لفعل يوناني . والاسم المؤلف من الكلمتين يشهد بأن المسيحية ولدت في هذا العالم نتيجة لقران بين هاتين الحضارتين .

ولتفكر في الديانات الكبرى الاربعة ، ذات الرسالة العالمية ، الموجودة في عالم اليوم : المسيحية والإسلام ، والهندوكية ، وذلك الشكل من أشكال البوذية المعروف بالماهايانا والسائد في الشرق الأقصى . ان الديانات الاربعة كلها ، من الناحية التاريخية ، نتاج لقاء بين المدنية الاغريقية الرومانية والمدنيات الأخرى المعاصرة لها . لقد ظهرت المسيحية والإسلام كرد ، للعالم السوري ، على التخلخل الاغريقي الروماني : وجاءت المسيحية في صورة رد غير عنيف ، وجاء الإسلام في صورة رد عنيف . وجاءت البوذية الماهايانية رداً دقيقاً من جانب العالم الهندوكي على التحدي الاغريقي الروماني نفسه ، في حين جاءت الهندوكية في صورة رد عنيف .

واذ نتطلع اليوم الى التاريخ الاغريقي الروماني ، بعد مضي حوالي ألف للثلاثة عام على انقراض المدنية الاغريقية الرومانية ، نستطيع أن نرى ، داخل هذا المنظور ، ان أهم حدث في تاريخ العالم الاغريقي الروماني هو التقاؤه بمدنيات أخرى ، ولا ترجع أهمية هذه اللقاءات الى نتائجها السياسية والاقتصادية المباشرة ، وانما الى نتائجها الدينية البعيدة الأمد . ان هذا التقنال الاغريقي الروماني - الذي نعرف قصته كاملة - يعطينا أيضاً فكرة عن الفترة الزمنية التي تستغرقها اللقاءات بين المدنيات . لقد بدأ تأثير العالم الاغريقي الروماني على المدنيات المعاصرة - والذي يماثل تأثير العالم الغربي الحديث في معاصره منذ مطلع القرنين الخامس عشر والسادس عشر - بدأ هذا التأثير مع فتوحات الاسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد ، وكان عالم الشرق الأوسط لا يزال يتمرجع للمؤلفات الكلاسيكية في الفلسفة والعلوم اليونانية بعد مضي خمسة أو ستة قرون على تحرير الشرق الأوسط من الحكم الاغريقي الروماني على يد العرب المسلمين الأول في القرن السابع للعصر المسيحي . ومنذ القرن

الرابع قبل الميلاد حتى القرن الثالث عشر في العصر المسيحي اقتضى  
استكمال اللقاء بين المدنية الاغريقية الرومانية ، والمدنيات المصاهرة ،  
اقتضى مرور اكبر شطر من ألف وستمائة عام .

والآن ، وعلى ضوء هذه الالف وستمائة العام ، في الفترة التي  
امضاها اللقاء بين مدينتنا الغربية الحديثة والمدنيات المصاهرة لها .  
نستطيع أن نقول ان هذا اللقاء بدأ مع هجوم المشائين على أوطان المدنية  
الغربية ، كما بدأ مع رحلات الكشوف الكبرى التي قام بها الغرب عند  
مطلع القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر من عهدنا . ولا يؤلف هذا  
سوى أربعة قرون ونصف قرن الى الوقت الحالي .

فلنفترض ، اذا شئت أن قلوب الناس وعقولهم تتحرك اليوم بأمرع  
مما كانت تتحرك بالامس ( بالرغم من أنني لا أعرف دليلا يقبض أن الجزء  
اللاشعوري من الانسان نفسه يغير من سرعته بشكل ملحوظ ) - حتى  
لو سلمنا بهذا ، بدأ لنا وكاننا مازلنا في فصل مبكر من فصول قصة  
لقاتنا بمدنيات المكسيك وبيرو والمسيحية الاورثوذكسية والاسلام والعالم  
الهندوكي والشرق الاقصى . ولم تشرع الا الآن في رؤية بعض النتائج  
التي سببها تأثرونا فيهم ، غير أننا لم نبدأ تماما في رؤية نتائج اجراءاتهم  
المضادة القادمة ، وفعلها علينا ، وهي اجراءات ستكون هائلة لا محالة .

وفي جيلنا فقط رأينا مظهرا من المظاهر الاولى لهذا الهجوم المضاد ،  
ولقد وجدناه مزعجا للغاية ، وسواء احببنا ذلك أو كرهناه ، فاننا قد  
شعرنا بخطورته ، واقصد بالطبع تلك الحركة التي احدها ذلك الفرع من  
غروع المسيحية الاورثوذكسية الثابت في روسيا . انها حركة خطيرة  
مقلقة ، ولا يرجع هذا الى القوة المادية الكامنة وراءها . فالروس ، على كل  
حال ، لم يحصلوا بعد على القنبلة الذرية (١) ، غير أنهم قد ابدوا بالفعل  
( وهذه هي النقطة الهامة ) قدرة على تحصيل الارواح الغربية الى  
« ايدولوجية » غير غربية .

لقد انتقلت الروس فلسفة اجتماعية دينسوية غربية : الماركسية ،  
ولكن تخطى حين تقول ان الماركسية هرطقة مسيحية ، ورقة منزوعة من  
كتاب المسيحية - عوملت وكأنها الانجيل كله . التفتت الروس هذه  
الديانة الضالة ، وأحاولوا الى شيء من صنع أيديهم ، وهم يسعدونها اليوم  
نحوها . هذه هي اول طلقة في الهجوم المضاد الموجه ضد الغرب ، غير أن

(١) كتب موبنيس هذا المقال عام ١٩٤٦ .

هذا الهجوم الرومي المضاد - الذي جاء في شكل الشيوعية - قد يفسر امره حيناً عندما نرد مدنيات الهند والصين - الأكثر خصياً فيما يبدو - ترد بدورها على تحدينا الغربي . ويحتل ، في نهاية الامر ، أن تحدث الهند والصين في حياتنا الغربية مؤثرات أعمق بكثير من المؤثرات التي يمكن أن تحمل روسيا بأحداثها مستعينة بشيوعيتها . بل إن مدنية المكسيك ، المحلية الضعيفة نسبياً ، بدأت ترد أيضاً . إن الثورة التي أخملت المكسيك تمر بها منذ عام ١٩١٠ ميلادية قد تفسر على أنها خطوة أولى للاحاطة بالرداء الطوى للمدنية الغربية ، تلك المدنية التي فرضناها على المكسيك في القرن السادس عشر . وما يحدث اليوم في المكسيك قد يحدث غداً في مهد مدنية أمريكا اللاتينية المحلية : في بيرو ، وبوليفيا ، وبالاكوادور ، وكولومبيا .

### - ٣ -

ولعل أن أترك الموضوع يجب أن أعلق على سؤال تفكيره حتى هذه المرحلة ، هذا السؤال هو : ماذا تعني بكلمة « مدنية » ؟ واضح أننا نعني بها شيئاً ، ذلك لأننا حتى قبل أن نحاول تحديد مقصدنا نجد أن تصنيف المجتمعات الانسانية - المدنية الغربية ، الاسلامية ، ومدنية الشرق الأقصى ، والهنوكية وهلم جرا - يبدو شيئاً مقبولاً إن هذه الاسماء ترسم في اذهاننا صوراً محدودة للمدين ، والعمارة ، والتصوير ، والسلوك ، والعادات . ولكن ، من الافضل أن نحاول الاقتراب من المعنى الذي نقصده من اصطلاح قتلناه الآن بحثاً . واعتقد أنني أعرف ما الذي أعنيه بكلمة مدنية : انني متيقن ، على الاقل ، من أنني أعرف كيف وصلت إلى رأيي الخاص فيها .

التي أقصد بالمدنية أصغر وحدة للدراسة التاريخية يصل إليها المرء حين يحاول فهم تاريخ بلد : ليكن الولايات المتحدة الأمريكية أو المسلكة المتحدة . ولر حاولت فهم تاريخ الولايات المتحدة في حد ذاته ليبدأ لك غير مفهوم : لن تستطيع أن تفهم الدور الذي لعبه الحكم الفدرلي ، والحكم الليابى ، والديمقراطية ، والتصنيع ، والزواج بوحدة فقط ، والمسيحية ، لن تفهم الدور الذي لعبه هذه الأشياء في الحياة الامريكية ما لم تتطلع إلى ما وراء حدود الولايات المتحدة - إلى أوروبا الغربية وإلى الاقطار الأخرى التي انشأها الادرييون والغربيون فيما وراء البحار ، وما لم تذهب إلى ما وراء نشأتها المحلية ، إلى تاريخ أوروبا الغربية في القرون الغابرة ،

قبل أن يعبر كولومبوس أو كايوت المحيط . ولكنك حين تريد فهم التاريخ الأمريكي والانظمة الامريكية لأغراض عملية لا تحتاج الى تغطى أوروبا الغربية والتطلع الى أدبها الشرقية أو العالم الإسلامي ، ولست بحاجة الى الذهاب الى ما وراء نشأة مدينتي في أدبها الغربية ، الى مدهور المدينة الاغريقية الرومانية وسقوطها . ان هذه العنود الزمانية والمكانية تعطينا وحدة مفهومة للحيلة الاجتماعية ، وحدة تعتبر الولايات المتحدة أو بريطانيا العظمى أو فرنسا أو هولندا جزءا منها : سمها المسيحية الغربية ، المدنية الغربية ، المجتمع الغربي ، العالم الغربي . وبالمثل ، اذا بدأت باليونان أو الصرب أو روسيا وحاولت فهم تاريخها ، فانك تصل الى مسيحية أورثوذكسية أو عالم بيزنطي . وإذا بدأت ببراكش أو أفغانستان وحاولت فهم تاريخها ، فانك تصل الى عالم مسلم . ولتبدأ بالبنغال أو ميسور أو راجبوتانا ، فستجد علما هندوكيا . وابدأ بالصين أو اليابان وستجد عالم الشرق الأقصى .

وبالرغم من أن العقولة ، التي يتصالح أن تكون من رعاياها ، تطالب بولائها بصورة استبدادية مملوكة ، وبخاصة في العصر الحديث ، إلا أن المدنية التي تغطي بعضويتها تؤثر في حياتنا أكثر مما تؤثر الدولة . وفي أغلب مراحل التاريخ نجد أن هذه المدنية التي نحن أعضاء فيها تحتضن مواطني دول أخرى الى جانبنا . ان هذه المدنية أقدم من دولتنا : ان عمر المدنية الغربية يقرب من ألف ولثلاثمائة عام ، أما عمر مملكة إنجلترا فلا يتعدى ألف عام ، في حين نجد أن عمر المملكة المتحدة لإنجلترا وأسكتلندا أقل من مائتي وخمسين عاما ، ولا يزيد عمر الولايات المتحدة كثيرا عن مائة وخمسين عاما . والدول عرضة لحياة قصيرة وموت فجائي : أما المدنية الغربية التي قد تستمر ، أنت وأنا ، في عضويتها ، فقد تعيش لقرون بعد أن تكون المملكة المتحدة والولايات المتحدة قد اختلفتا من خريطة العالم مثلما اختلف المصاصران الرحلان : جمهورية البندقية ، والملكية المزدوجة للنمسا والمجر . هذا واحد من الأسباب التي جعلتني أطالب بأن أنظر الى التاريخ على ضوء المدنيات ، لا الدول ، وأن تعتبر الدول أشبه بظواهر سياسية تابعة ، ومؤقتة . في حياة المدنيات ، المدنيات التي تظهر للدول وتختفي في أحضانها .





## خاتمة رحلة (١)

عندما قللنا راجعين من بيبيلوس الى بيروت ، مساء أمس ، رأينا الشمس وهي تشرق في البحر الأبيض المتوسط مرة أخرى . كان من الممكن ألا يختلف هذا اليوم عن أي يوم آخر في رحلتنا . فلقد بدأ لنا أننا مازلنا بعيدين من إنجلترا بعدنا عنها ونحن في اندونيسيا أو أليابان . ولكن ، ها نحن في هذا الصباح قد عدنا الى منزلنا في لندن . وفي مطار لندن ، منذ ساعة مضت ، أطلقت خمسة وجوه صغيرة باسمسة من باب مبنى الجمرات ، وأخذت تنتظرنا حتى انتهت من إجراءات أمتعتنا ، وقبل ذلك بساعتين ، عندما أطلقت علينا الشمس من جديد بعد أن أنمت إحدى رحلات العودة الضخمة من الغرب الى الشرق ، أخذت تسطع فوق قمم الألب المغطاة بالجليد ، على حين كان ماثروهرن يغيب وراء كنفى الأيسر .

ونحن لا تكاد نصلى أننا طفنا بالكرة الأرضية « طبقا للخطة الموضوعية » ، فليل للبدء في الرحلة - حتى على ذلك الآن أكثر من مئتين عشر شهرا - انهضنا لمام ونصف عام على الأقل في تخطيط رحلتنا ، وبدأت تقديراتنا ومراسلاتنا أقرب الى دراسات أكاديمية داخل جامعة منها الى استعدادت حقيقتية لرحلة ستتم بالفعل . هل ساجد نفسى حقا ، يوم السبت الثامن والعشرين من ابريل عام ١٩٥٦ ، وقد صعدت الى ظهر من ص . رانجيتانا وهي تشرق هياة قناة بناما ؟ وهل ستستقر زوجتي بالفعل

---

في عام ١٩٥٨ نشرت مطبعة جاسا أكسفورد كتاب « من الشرق الى الغرب ... رحلة حول العالم » . وفيه يتحدث من الرحلة الطويلة التي قام بها هو ولزوجته حول العالم ، والتي استغرقت أكثر من ١٧ شهرا . وأصبح له خلالها ان يفسف آسيا . غير ان الظروف حالت دون زيارته للقارة الأفريقية . و «خاتمة رحلة » هو الفصل الثاني ينتهي به بونبي كتابه .

في القمر التي حجزناها ؟ وفي يوم الاثنين ، التاسع عشر من شهر مايو عام ١٩٥٧ ، في الساعة الرابعة مساءً ، هل ساهبط حقاً في أشور من قطار بغداد - الموصل المسائي ؟ وقبل أن تبدأ الرحلة بدأ هذا غير محتمل الوقوع . وهكذا بدأنا للرحلة وقلوبنا في حلقنا . وكان لابد أن ننجح في تنفيذ جزء كبير من البرنامج الطويل قبل أن نشعر بأية ثقة في نجاح الجزء الباقي . ولقد كانت هناك ، بالطبع ، خسائر ومكاسب . لقد خسرت بوليفيا لأنني مرضت ، ولكنني اكتسبت العربية السعودية وقطاع غزة بفضل دعوات كريمة لم تكن تتوقعها . وعند الموازنة ، نجد أن المكاسب فاقت الخسائر ، وهو شيء لم تكن نتوقعه إلى حد كبير .

وعندما يشرع امرؤ في وضع خطة لرحلة تستغرق سبعة عشر شهراً ، يتصور سلفاً أن هذا صيحيح له وقتاً كافياً لرؤية العالم بأكمله ، ورؤيته في أثناء تمهل . فإذا دخل في التفاصيل اكتشف أنه قد يأمل نوع رؤية شعر ضئيل من سطح الأرض إذا هو استغل كل ساعة وكل دقيقة . أن سطح الكرة الأرضية لا حدود له ، ومهما تغفل في أحد الاتجاهات فيكون هناك دائماً هدف مثير قريب منه جداً ولكنه لا يستطيع أن يلمسه . فكر في اضطرابك إلى العدة . إن يوماً مرة أخرى على حين لرد هناك ، عبر حدود بيرو - بوليفيا - بعيداً عن مرمى البصر فقط - مدينة تياواناكو : المدينة التي ألفت بالحجر الضخم المجلجل في البركة الهائلة لمدينة بيرو الأولى . . . وفكر في وقتك عند ممر كوهات ، محلقاً ناحية الجنوب الشرقي تجاه وزيرستان دون أن يتلح لك الوقت لتخطي الحدود الشمالية الغربية من هنا إلى كويت . وخلال الرحلة يتعذب المسافر دائماً من جره شعوره بأن هناك أماكن كثيرة لم يرها . وفي نهاية الرحلة ، يكتشف أنه عاد إلى بيته ونعمه شحنة ضخمة من المظروف الجديدة . وهكذا مر سبعة عشر شهراً وأدما كالم تظاً أرض أفريقية أو أرض جزيرة واحدة من جزر البوليز ، وشاهدنا . ولكننا لم ندخل - الصين - وأفغانستان - والاتحاد السوفييتي . ( رأيت الصين من الحدود الجديدة لهونج كونج ، وأفغانستان من الطرف الغربي لمرخيبر ) ، والاتحاد السوفييتي من الطرف الشمالي الغربي لاقليم جيلان الفارسي المظفر . ) وقد يبدو من هذه أننا أضعنا وقتنا عبثاً . ولكننا كنا نهول ، من البداية حتى النهاية ، كما أننا سعيانا إلى رؤية عدد من البلدان الكثيرة التي تكتظ به آسيا -

«يتقبل» إلى أن معظم المسافرين يسافرون ليصلوا إلى مكان ماء، هؤلاء هم الذين تسهر على راحتهم أجهزة النقل . أما إذا كان المرء ينتمي إلى «الثقة» التي تسافر لكي ترى ما في طريقها فإن عليه أن يواجه عدوين لدودين : العاصمة والطائرة .

« وكلما كان جهاز الطحن أفضل ، قلت المواد الغذائية في الريف ، وكلما كانت وسيلة النقل أفضل ، قلت الاستفادة من الرحلة » . إن الأجهزة الأمريكية ذات الطاقة السالمية تطرد الفيتامينات من الدقيق . والطائرات البريطانية ذات الطاقة المائية تنقل المسافرين فوق السحاب إلى ارتفاع يمنه من رؤية البلدان التي يمرق فوقها . إن أفضل وسيلة لنقل المسافرين الذي يريد أن يرى العالم هو أن يسير على قدميه .

أما بالنسبة لمواصم العالم فانها، كلها ، تزداد ضخامة ، وتشابها، ومغفطيسية . إنها تجذبك إلى بيتها ، بيت الصنكيوت وتتآمر معها جميع وسائل النقل ، وما إن تقتنصك حتى ترفض إخلاء سبيلك . إنها لا تستطيع أن تتصور أنك تريد أن تهرب منها حقاً إلى الريف . ولكن الريف ، حتى في يومنا هذا ، «مازال هو العالم الحقيقي» . إن العاصمة لا تمثل البلد في قليل أو كثير . ولقد ولدت في لندن ، وعشت في لندن طيلة حياتي . ولكنني إذا أردت أن أعد دراسة جادة عن وطني فسأهرب من لندن وأذهب نفسي في هنرر فيلد وورينجتون . إن عجز العاصمة عن تمثيل وطنها لأحد عيوبها الفوقية ، غير أن هذا العجز يصل إلى الذروة في هذه البلدان - وهي تمثل الغالبية - التي تمر اليوم بمرحلة التمدين . ذلك لأن التمدين يبدأ في المدن ، وهو يشكل حياة الحضر وفقاً للأنماط الغربية ، وهكذا نجد أن الهوة بين العاصمة والريف - في أمريكا اللاتينية والبلدان الآسيوية - هائلة جداً ، كما أنها آخذة في الاتساع المنتظم . مثال هذا أنك تشعر ، وأنت تسفل طهران ، وكأنك قد خلفت وراءك إيران - التي تعتبر طهران عاصمتها الرسمية - ولو قد وضع جنى عابت حديثة طهران موضع ليا ، ووضع ليا موضع طهران في ليلة واحدة ، كان الفلاحين الإيرانيين وفلاحى كويشوا سيحيون كل السوق في صباح اليوم التالي كالمتعاد ، ومن المحتمل أنهم لن يكتشفوا حدوث أدنى تغير . فليس أغرب من وجود ليا داخل وطنها ، وليس أغرب من وجود طهران

داخل إيران • والاثنان متعابيهتان تشابه حيتي بسلة • وإذا كان حلق المسافر هو رؤية عواصم العالم ذات الطابع الموحد ، فأسرى به أن يجنب نفسه عناء حزم حليبية • وأينما كان المرء ، فسلا به من أن يصطدم بهذا التفاح الذي صنعه عصرنا الحديث •

لقد ضاع الكثير - الكثير جدا من شهورى الثمينة السبعة عشر في الدبول داخل المواسم • وضاع الكثير منها في الاندفاع داخل الطائرات • غير أنى لم أفقد تماما تلك الحركة التى خطتها مع هذين العلوين اللذين يترصدان المسافرين : العاصمة والطائرة • لقد مررت فوق ذؤابات أشجار غابة الأمازون ، مستقلا طائرة برمائية ، وارتقيت أحد وديان إيران الخفية متطليا ظهر حمار ، وتسلمت فى طريق سايك عند بتراسيرا على الاقدام • ان هذه اللحظات للعالم الحقيقى شئرات لا تقدر بثمن • والآن ، وقد حصفت هذه الشئرات ، يجب أن أبذل قصارى جهدى لأتحدث عنها •

من مؤلفات توينبي

- Nationality and War. (1915).
- The New Europe. (1915).
- The Western Question in Greece and Turkey. (1922).
- Greek Historical Thought. (1924).
- Greek Civilization and Character. (1924).
- The World After the Peace Conference. (1925).
- Nations of the Modern World. Turkey: With K. P. Kirkwood. (1926).
- A Study of History. The First Three Volumes. (1934).
- A Study of History. Three Other Volumes: (1939).
- Christianity and Civilization. (1940).
- Civilization on Trial. (1946).
- East to West. A Journey Round the World. (1956-1957).
- A Study of History. Reconsiderations. (1961).



## فهرس

| الموضوع                                       | الصفحة |
|-----------------------------------------------|--------|
| تقديم الترجمة .. .. .                         | ٣      |
| الانسان .. .. . والجبل المجرم .. .. .         | ١٥     |
| قطاع غزة .. .. .                              | ١٩     |
| مع أرنولد توينسى .. .. .                      | ٢٣     |
| الجنس البشرى ، ذلك البطل الذى لا يقهر .. .. . | ٣٧     |
| لقاءات بين المدنيين .. .. .                   | ٤٥     |
| خاتمة رحلة .. .. .                            | ٥٥     |
| من مؤلفات توينسى .. .. .                      | ٥٩     |





# هيئة قناة السويس

## مناقصة عامة

تطرح هيئة قناة السويس - في مناقصة عامة بين مغاوى القطاع العام والخاص - عملية انشاء مركز طبي بورتوفيق . ويمكن الحصول على مستندات المناقصة بالحضور شخصيا بقر الهيئة بالاسمايلية ( قسم المشروعات ) نظير مبلغ عشرة جنيهات . وتقدم العطاءات داخل مغروفين مغلقتين بالشمع الأحمر ، ويكتب العنوان الخارجى باسم السيد رئيس هيئة قناة السويس - الادارة الهندسية ( قسم المشروعات ) في ميعاد أقصاه الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم ٢٣ من يونيه سنة ١٩٦٤ ويجب أن تكون العطاءات مصحوبة بتأمين ابتدائي قدره ١٠٠٠ جنيه ولأن يلتفت الى العطاءات التي ترد بعد الموعد المحدد أو الغير مصحوبة بالتأمين الابتدائي .

الذات المعنوية المطابقة لثبوتها الكتاب





الدار القومية للطباعة والنشر



العدد ٩٢  
العدد  
العدد ١٥  
١٩٦٤/٦/١٨